رواية

النسل الأخير

تاريخ البدء: ١٧سبتمبر.

رواية النسل الأخير

١

رحمة.

جلست في غرفتها بالإقامة الجامعية تعد الأيام لتعود إلى البيت مع

إنتهاء الفصل الدراسي الأول، لقد إشتاقت إلى والديها الغائبين البعيدين، و إشتاقت إلى فراشها و غرفتها الخاصة و قطتها البيضاء "سومي".

تنهدت و إلتفتت إلى السرير الخالي إلى جانبها، لقد غادرت صديقتها" إسمهان " البارحة إلى بيتهم، و بقيت هي وحدها، هي لا تمل من البقاء وحيدة عادة و لا تجد في ذلك قلقا.

و لكن وجود إسمهان كان يلهيها عن شوقها قليلا. لم تعتد الأخيرة على حضور الدروس بل كانت لا تحضر سوى الأعمال الموجهة، و الآن و قد تبقى أسبوع فقط في الدراسة عادت إلى بيتها قبل بدء العطلة الشتوية.

نهضت لتغير ثيابها إلى بيجامتها المريحة القطنية للنوم، فقد تأخر الوقت و هي معتادة على السهر ما إستطاعت، و لكنها قبل أن تدلف إلى فراشها و تلتحف بغطاءها، سمعت طرقا خفيفا على الباب، ترى من يكون الزائر في هذا الوقت المتأخر؟

نهضت على مضض، و سألت أمام الباب قائلتا: من؟

جاءها الصوت على الجانب الآخر من الباب: روميسة، إفتحي يا رحمة!

فتحت رحمة الباب فدخلت روميسة مهرولة و جلست من فورها على سرير إسمهان الفارغ. نظرت إليها رحمة في عفوية هي لا تستغرب تصرفها لأنها تعلم أنها شخص عفوي و تلقائي.

جلست أمامها على سريرها و قالت: أهلا روميسة، ما الأمر؟

نظرت إليها روميسة و في عينيها توهج غريب و قالت:

ألم تسمعي عن ما حدث منذ دقائق؟

لا! ماذا حدث؟!

حاولت فتاة من العمارة.... الإنتحار!

قاطعتها رحمة بإضطراب و دهشة: ماذا؟! و لماذا تنتحر؟!

إعترفت صديقتها أنها كانت حاملا و أن حبيبها رفض الزواج منها فقررت الموت.

رحمة بشفقة: هذا مؤسف جدا.

روميسة بشفقة هي الأخرى: لقد شربت عبوة دواء "دوليبران" كاملة من المستحيل أن تبقى حية.

ثم أردفت و هي تتنهد: يا إلهي! بنات هذه الأيام أصبحن بلا أخلاق، يأتمنهن آباءهن على أعراضهن و أخلاقهن فيفعلن ما يحلو لهن.

نظرت إليها رحمة في حدة و قالت:

روميسة! كفي عن الحديث في أعراض الناس، ما حدث لها كان من الممكن أن يحدث لنا، لو أن الله لم ينعم علينا بالتعقل و الحكمة إحمدي الله على العافية من الذنب. و إكرهي الذنب لا المذنب.

روميسة بإنزعاج: أين كان عقلها عندما خدعها شاب أخرق؟! أنت تعرفين أنني أكره الغبيات يا رحمة.

تنهدت رحمة و سكتت، هي لا تحبذ الدخول في نقاش عقيم.

ثم عادت تسأل روميسة: أين هي الفتاة الآن؟

روميسة: لقد أخدها الإسعاف منذ دقائق.

رحمة و هي تضع كفها على جبهتها: يا إلهي! عمارتي منعزلة و لا أسمع بأية أخبار.

إبتسمت روميسة و قالت: لديك أنا مخبرتك الوفية.

بادلتها رحمة الإبتسامة،

غادرت روميسة بعدها غرفة رحمة و راحت الأخيرة تفكر بالفتاة، راحت تفكر كيف يستطيع شاب التلاعب بمشاعر فتاة بتلقائية و سهولة، و كيف يخبرها بكل برود أنه تخلى عنها؟!

كيف يفكر و هو يفعل هذا، و كيف ينظر للأمر، دائما ما كانت تثير إهتمامها النفوس الشريرة، تريد أن تعلم لما يفكرون بهذه الطريقة، و كيف لا يشعرون بالذنب كغيرهم؟

تجد نفسها تفكر في كل شيء، في كل موقف و فعل يصدر من الناس، و هكذا أصبحت محللة نفسية بنفسها، و تفهم نفسيات

الناس و كيف يفكرون من حولها، لا شك أن جميع من يتحلون بالذكاء النفسي كفرويد مثلا يفعلون مثلها، يحللون نفسيات الناس.

غطت بعدها في نوم عميق لم تفق منه إلا في الصباح على صوت منبهها الساعة السابعة صباحا.

إستيقظت من فورها و سارعت بروتينها اليومي، أولا تغسل وجهها ثم تتوضأ في غرفتها بالماء الذي إشترته و في قصعتها الخاصة ثم تصلي الصبح، تتناول بعدها فطورها الذي غالبا ما يكون قهوة تسخنها في موقدها الصغير الذي أحضرته معها من البيت و بسكويت إبتاعته من محل بقالة الإقامة ثم ترتدي ثيابها و حجابها، كانت رحمة فتاة جميلة ذات عينان واسعتان بنيتان و شعر بني طويل يصل إلى نهاية ظهرها و بشرة بيضاء و كانت قصيرة نوعا ما إذ يبلغ طولها ١٠٥٨م و ذات قوام نحيل، كانت غرفتها منظمة، في جانبي الغرفة من أعلاها يوجد سريرين، الأيمن لها و الأيسر لإسمهان و بينهما سجادة حمراء مزخرفة تخصها، وراء سريرها مباشرة مكتبها الدراسي و وراءه خزانتها و على جانبها الأيسر خزانة إسمهان، وراء سرير إسمهان طاولة عليها الموقد و بعض الخضروات و المقتنيات الغذائية تتشارك فيها الفتاتان و على الجانب ثلاجة صغيرة،

تنطلق بعدها تحث الخطى نحو الكلية هي طالبة في السنة الرابعة بكلية الطب في الجزائر العاصمة.

في الكلية تلتقي بصديقتها "نسمة" في المدرج، تجلس كعادتها في الصفوف الأخيرة، تأتي قبل الجميع و تفتح دفترها تراجع ما أخدوه في الدروس الفائتة و لا ترحب بأي ثرثرة في مثل هذا الوقت عدا "صباح الخير"!

حيتها رحمة ثم جلست إلى جانبها فهي الأخرى تفضل المقاعد الأخيرة، كانت نسمة فتاة عادية الجمال و لكنها جذابة، إذ تكسبها سمرتها الخفيفة جاذبية خاصة.

و بالرغم من أنها ليست طالبة متفوقة إلا أنها تبدل أيضا كل ما بوسعها لتضل عادية.

بعد دقائق جاءت روميسة لتكمل الثلاثي هي لا تأتي دائما إلا متأخرة و تحضر وراءها مباشرة الدكتورة، و ذلك لأنها تتأخر بوضع المكياج القليل على وجهها، و الذي تصر دوما على وضعه بإتقان شديد و لهذا تتأخر.

جالت بنظرها في المدرج حتى عثرت على صديقتيها فهرولت إليهن، كانت روميسة فتاة بها بعض الإمتلاء، جميلة الملامح و متوسطة في القامة،

تجلس إلى جوار رحمة و تبدأ المحاضرة.

٢

مجد.

خرج من غرفة العمليات و العرق يغطي صدغيه، رمى بالقفازين الملطخين بالدماء في سلة المهملات ثم ركن إلى أقرب مقعد يجلس بعد أن أهده التعب و نال منه.

لقد إستمرت العملية لثماني ساعات! كان فيها وعيه يقضا.

الحمدلله أنها نجحت.

فكر في نفسه، و راح يأنب نفسه قائلا:

لا ينبغي على الطبيب أن يسهر في التسلية فيأتي إلى المستشفى كسلانا، غائب الذهن! لن أفعل ذلك ثانيتا.

و لكنه ما يلبث أن يعيد الكرة و يخاف أن لا يركز في العمليات فيودي بحياة المرضى و تستمر تأنيباته لنفسه التي لا تبقى سوى ثوان ثم تنتهي.

خرج من الغرفة صديقه الدكتور "دانيال" و إبتسم له قائلا بالفرنسية:

أحسنت يا ملك الجراحة.

إبتسم الشاب بغرور و نهض ليغير ثيابه في مكتبه الخاص، كان شابا في الثلاثين من عمره نحيل و طويل كالعود كانت والدته تناديه ب"عود الشواء". أو "المطرق" باللهجة الجزائرية، إلا أنه كان أنحل من هذا في الماضي و لكن بعد مجيئه إلى فرنسا منذ سنوات إكتسب بعض الوزن.

كانت والدته "وردة" دائما ما تصر عليه أن يأكل ليسمن تقول:

كل يا مجد، يا حبيبي، من يراك يظننا نعاني من مجاعة!

فيبتسم قائلا:

لا علاقة للأكل بالسمنة يا أمي، قد يكون هذا من تأثير هرمون الكوليسيستوكنين'هرمون النحافة' ربما أمتلك قدرا كبيرا منه في جسمي.

تومئ له ثم تعود لإلصاق الأمر بالطعام. فمن الصعب أن يتخلى المرء عن أفكاره القديمة! و كانت تعجز عن نطق إسم الهرمون مهما حاولت!

وصل إلى مكتبه و فتح خزانته و نزع رداء المستشفى الطبي الأزرق و إرتدى قميصا أبيضا ثم لبس فوقه بلوفرا رمادي اللون و لبس سروال جينز أزرق. و فوق البلوفر إرتدى معطفا صوفيا أبيضا.

نظر إلى نفسه في المرآة برضا، و راح يمسد على شعره يرفعه للأعلى كان يمتلك شعرا بنيا ناعما و عينان بنيتان واسعتان، بشرته مائلة للإسمرار و يمتلك لحية خفيفة، لم يكن وسيما بل

كان عاديا و لكنه جذاب. خاصة عندما يرفع شعره للأعلى أو يبتسم إبتسامة جانبية.

كان مجد يمتلك قدرا لا بأس به من الغرور و هو ما لم يستطع أن يدفعه عنه بسبب نجاحاته الطبية الباهرة و براعته في عالم الطب رغم صغر سنه إذ يدعى ب "ملك الجراحة" فلا يفشل في أية عملية مهما بلغت صعوبتها. حتى إذا كانت الرصاصة قد دخلت في منتصف الدماغ يستطيع إخراجها بطريقة ما!

أصبح مغرورا بعدما إكتشف موهبته و لكنه شخص طيب و مخلص لمهنته.

خرج من مستشفى سانت لويس على الساعة الثامنة ليلا، إستقل سيارته التويوتا السوداء متجها إلى بيته لأخد قسط من الراحة.

كان قد درس الطب في باريس و عمل في مستشفى سانت لويس بباريس بعد تخرجه، لا يعود إلى بيته في الجزائر العاصمة إلا في العطل لزيارة أسرته التي تتكون من والدته وردة و والده "رحيم" الذي كان رائد فضاء قبل تقاعده و أخته الصغرى "وئام".

كان مرتاحا بالعيش وحده في شقته المكونة من غرفتين و صالة واسعة و مطبخ فسيح و حمام كانت مؤثثة بطريقة عصرية و بذوق عال، فمجد يهتم كثيرا للأناقة و يرى أنه لا يستحق إلا الأشياء البهية و الأنيقة، حتى صحن طعامه يزينه جيدا لنفسه ثم يقدمه إليها بكل حب، إنه بلا شك يمتلك قدرا كبير من تقدير الذات و تدليلها.

إتجه نحو المطبخ فور دخوله للبيت، رمى بمعطفه على الكنبة في الصالة و دخل المطبخ، فتح الثلاجة و أمسك عصير البرتقال البارد الذي حضره بنفسه و صبه في كأس زجاجية ثم شربه، راح بعدها يعد وجبة عشاءه، إستخرج شريحة صدر الدجاج من الثلاجة قطعها قطعا صغيرة قلاها في المقلاة ثم أضاف إليها صلصة الطماطم و التوابل على طريقة أمه في تحضيرها.

كان بارعا في الطبخ، منذ كان في الإبتدائية حيث كانت أمه مشغولة بالذهاب إلى العمل كأستاذة في الإعدادية و يعود هو من الدراسة وقت الغذاء فلا يجدها فيقوم بإعداد غذاءه بنفسه.

كانت أمه دائما ما تعير أخته الصغرى "وئام" البالغة من العمر إثنان و عشرين عاما به فتقول لها:

أخوك رجل و مع ذلك يجيد الطبخ و أنت إمرأة و لا تجيدين قلي بيضة!

فتجيب وئام بحنق قائلتا: إن مجد من الأساس يمتلك يدين ماهرتين، سواءا في الجرحة أو في أي شيء آخر!

خمن أن هذا قد أفاده الآن بعدما قرر العيش وحيدا، لقد قرر سلفا أنه سيظل عازبا للأبد، إن أكثر ما يؤرقه عند عودته إلى منزلهم كل عطلة هو إلحاح والدته عليه بأن يتزوج، تقول بنبرة متوسلة:

أرجوك يا مجد، أريد رؤية طفلك قبل أن أموت.

كان يستغرب حديثها عن الموت فهي لا تزال في الخمسينات من عمرها و صحتها جيدة، إنها فقط تثير الدراما من أجل أن تزوجه بالتأكيد! هكذا خمن.

إنه يعشق الطب، إذا سأله سائل عن حبيبته يجيبه أن حبيبته هي الجراحة.

كما كان يكره النساء، سأله مرة صديقه دانيال عن سبب رفضه للإرتباط و الزواج أيضا فإبتسم ساخرا و قال:

إنه بلاء كبير يا صديقي! الفتيات نكديات و متطلبات و متقلبات المزاج، سأجدها تسألني أين تذهب؟ و أين كنت؟ و تقلب وجهها إذا لم تعجبها إجاباتي عن أسئلتها التي ترضي غرورها مثل: هل أنا جميلة؟ من أجمل فتاة المسلسل أم أنا؟

ضحك عندها دانيال ضحكة مجلجلة ثم قال:

ليست كل الفتيات هكذا يا مجد، قد تجد الفتاة التي تسرق قلبك يوما ما.

فقال مجد بهدوء: لا أعتقد ذلك.

راح الآن يعد السلطة، قطع الخيار و الطماطم و الجزر ثم أعد الصلصلة التي يحفظ مقادير مكوناتها بدقة لتأتي بنفسي المذاق.

أكل عشاءه، ثم إتجه نحو غرفته، في العادة هو يسهر لوقت متأخر جدا من الليل أحيانا يقرأ و غالبا قراءاته كتب طبية و إذا لم تكن كذلك فروايات، أو يسهر على مشاهدة شيء يعجبه فلما

أو مسلسلا أو مباراة رياضية.. أو يذهب إلى مختبره في الغرفة الأخرى، يجرب إنتاج عقار جديد بشغف العالم!

كان يوافق قول نيتشه: الليل هو وقت الأرواح الحرة و هو يمنحنا الفرصة لإستكشاف عوالمنا الداخلية و التعرف على أنفسنا.

أما اليوم فقد غير ثيابه من فوره إلى ثياب نوم مريحة و تدثر بالغطاء فنام من فوره.

لقد هده التعب.

٣

عودة.

مضى الأسبوع الدراسي الأخير على رحمة بسرعة، يوم الخميس كانت متلهفة و متحمسة للعودة إلى البيت، هي تستطيع العودة في أي وقت فبيتهم يقع في الجزائر العاصمة من الأصل، و لكن البيت بالنسبة لها يعني المكان الذي يوجد فيه والديها.

هما بالولايات المتحدة الأمريكية الآن و ذلك لأنهما موظفان في الناسا، قالا أنهما سيعودان هذه العطلة إلى البيت و يقضيانها معها.

هي لم تعد إلى البيت منذ الدخول الجامعي في سبتمبر أي منذ أربعة أشهر، فلماذا تعود و تعيش وحدها؟ من الأفضل أن تمكث في الإقامة مع صديقتها.

كانت تحزم أمتعتها من غرفتها في الإقامة بينما تنتظرها روميسة بالخارج، حقيبتين هي مجمل حمولتها، تحتوي الأولى على ثيابها المنزلية و ثياب الخرجات و الأخرى تحتوي على كتب و مكياج و مستحضرات شعر و بشرة و غيرها.

كانت حقيبة الكتب ثقيلة جدا، فقد أحضرت معها سلسلة آن في المرتفعات الخضراء لتقرأها، إستعارتها من مكتبة والدها، كانت قد شاهدت المسلسل و لكنها أرادت أن تعيش الحروف بنفسها.

خرجت من الغرفة و أغلقتها بالمفتاح، كانت روميسة قد ذهبت لتطل من النافذة الموجودة آخر الرواق، نادتها رحمة قائلتا:

روميسة، هيا!

إلتفتت الأخيرة بسرعة و أسرعت نحو صديقتها مهرولة، أمسكت حقيبتها تجرها بسعادة قائلة و هي تضغط على الحروف : و أخيييرا العطلة.

إبتسمت رحمة بإتساع و قالت: نعم.

و راحت الإثنتان تجريان في الممر كطفلتان و تجران وراءهما الحقائب بلهفة و تقهقهان.

عندما خرجتا للفناء مرتا بالعمارة... تطلعت رحمة إليها و تذكرت ما سمعته عن الفتاة التي حاولت الإنتحار قبل أيام، لقد ماتت.

شعرت بالحزن عليها، هذه الفتاة ماتت في بيت غير بيتها، ماتت قبل أن تنعم بالطمأنينة و الإنتماء.

إستقلتا قطار التراموای، كانت روميسة متجهة إلى محطة الحافلات لتستقل حافلة تأخدها إلى مسكنها في وهران، أما رحمة فقد كانت ذاهبة إلى بيتها في بن عكنون.

هبطت رحمة أولا و ودعت صديقتها بحضن طويل ثم قالت:

حسنا، كفي عن الدراما سنلتقي بعد ١٥يوم فقط.

قالت هذا بعد أن أطالت روميسة في الحضن، فأجابت الأخيرة بمرح:

أحب الحنان و الأحضان يا رحمة، تعرفين ذلك!

أومأت لها رحمة بإبتسامة، ثم ضحكت الإثنتان و نزلت رحمة، مشت بضع خطوات ثم وقفت أمام عمارتهم، صعدت للطابق الرابع ثم أخرجت المفتاح و همت بدخول البيت، ترى هل والداها بالبيت أم لم يصلوا بعد؟

دخلت و كان الهدوء يعم المكان، ثم سمعت صوت جلبة في الرواق، خرج أخوها الصغير "رسيم" ذو العشر السنوات و هو يركض من غرفته عندما سمع صوت إغلاق الباب، نظر إليها بدهشة ثم توجه إليها مسرعا و إحتضنها، إبتسمت رحمة بإتساع و إحتضنته بحب، قائلتا: إشتقت إليك يا رسيم.

ثم قالت بلهفة و هي تبتعد عن حضنه و تنظر في عيناه : أين أبي و أمي؟

في تلك اللحظة خرجت والدتها من المطبخ و هي تجفف يديها في رداء المطبخ الذي ترتديه فوق بطنها و تبتسم، إندفعت رحمة إلى أحضانها و قبلت جبينها بمعزة قائلتا: إشتقت إليك يا أمي!

قالت والدتها صفاء و هي تربت على ظهرها بحب: و أنا أيضا يا عزيزتي.

تلمست وجنتها بلطف، كانت أمها إمرأة طويلة جميلة ذات عينان عسليتان و شعر مصبوغ بالأشقر و كان قوامها نحيلا.

عادت رحمة تدفن رأسها في حضنها، قالت والدتها و هي تربت على رأسها من فوق حجابها: أدخلي لترتاحي يا عزيزتي، لا شك في أنك متعبة.

خرجت رحمة من حضنها و أومأت لها فجرت حقيبتيها إلى غرفتها. كانت غرفة جميلة بها سرير لشخص واحد في الجانب العلوي الأيمن للغرفة رداءه بنفسجي اللون و هو لونها المفضل و إلى جواره مكتبها الدراسي مقابلا للسرير في الجانب الأيسر للغرفة خزانة ملابسها، و على الأرضية سجادة بنفسجية اللون إعتادت الجلوس عليها و مداعبة قطتها سومي،

سومي؟ صحيح! أين هي؟

فكرت بينما تنزع ثيابها لتبدلها بثياب بيتية مريحة، و في تلك اللحظة خرجت سومي من تحت السرير و كأنها تحيي صاحبتها بعودتها للبيت، تهللت أسارير رحمة و أدخلت رأسها في عنق قميص البيجامة بلهفة و دون إخراج شعرها من تحته إندفعت نحو سومي تقبلها بحب و تدعك خدها بفروها الأبيض في بهجة.

ثم جاءها صوت والدتها من المطبخ: رحمة الغذاء جاهز.

فقالت: نعم. و تركت سومي و نهضت متجهة نحو المرآة سحبت شعرها من تحت القميص فإنسدل بنعومة وراء ظهرها، رفعته على شكل تسريحة ذيل الحصان و مسدت على مقدمته ليبدو مرتبا، إبتسمت برضا، كان من عادتها الإبتسام لنفسها في المرآة و كأنها عادة تشجيعية من نوع ما.

في المطبخ سألت رحمة عن والدها بينما تسحب كرسي الطاولة لتجلس و بينما تفرغ أمها محتوى المقلاة في الطبق.

قالت والدتها: لقد خرج قبل دقائق منذ وصولك لتأدية بعض الأعمال.

أومأت لها رحمة ثم راحت تأكل من طبقها حبات البطاطا المقلية و تغمسها بالصلصة الحارة بشكل مفرط كعادتها و دائما ما تنهرها أمها لكثرة أكلها لها و لكنها اليوم كانت تنظر إليها بحب و لم تعلق بشيء.

و بعد الغذاء في الصالة جلست الأم و إبنتها على الكنبة تتبادلان أطراف الحديث.

كانت رحمة تحدثها عن كل ما عاشته في فصلها الدراسي و خاصة عن خيباتها الدراسية الكثيرة أما أمها فحدثتها عن تفاصيل حياتهم في أمريكا و عملهما هي و والدها الذي لطالما أثار إهتمام رحمة،

كان والداها يعملان في وكالة الفضاء الجزائرية ثم إنتقلا قبل عام فقط للعمل في الناسا و أخدا معهما رسيم لأمريكا و أصبح يدرس هناك.

و بعد دقائق حضر والدها و إكتمل لم الشمل، كان رجلا مربوعا عريض المنكبين، شعر رأسه كله أبيض بالرغم من أنه لم يتجاوز الخمسين، قال:

لقد كنت أزور صديقا لي، يسكن قريبا منا، إنه زميلنا السابق في وكالة الفضاء.

أومأت صفاء و قالت: نعم، كيف حال وردة و وئام؟

قال: بأفضل حال، لقد كبرت وئام و أصبحت فتاة جميلة إنها في نفس عمر رحمة.

ثم إلتفت إلى رحمة قائلا: لا بد أن تتعرفي عليها لاحقا يا رحمة.

أومأت له رحمة بإبتسامة.

•••••

في قادم الأيام تنعمت رحمة بالراحة في بيتها و بالطمأنينة وسط أسرتها و لكنها لاحظت إضطراب والديها بالرغم من أنهما حاولا إخفاءه، لاحظت أنهما قلقان بشأن شيء ما، و ما مكنها من ذلك هو معرفتها الدقيقة بهما،

تساؤلت ماذا قد يكون هذا الشيء؟ هل هو بشأن عملهما؟!

اليوم، كان أخوها رسيم بطبيعته المزعجة التي تعرفها، يدور حولها في حلقات مفرغة دون سبب، في المطبخ و الصالة و الرواق، لقد أصابها بالدوار!

نهرته عدة مرات، و لكن للأطفال الذكور قدرة عملاقة على الإستفزاز!

قالت بغضب: إذهب و ألصق عيناك بلوح التابلات خاصتك، هيا!

فأجاب: لا، لقد ضجرت.

فصرخت قائلتا: و أنا لست دمية!

ذهبت إلى غرفتها و أغلقت الباب قبل أن يدخل، إذ ركضت بسرعة و ركض هو خلفها ثم أغلقته و كأنهما في سباق، زفرت بحنق، ثم حمدت الله أنها ستذهب ظهر اليوم إلى فرنسا مع والدها في رحلة خفيفة حيث سيزور عمتها المغتربة المريضة بالسل في مستشفى سانت لويس بباريس.

لم يكن والداها بالمنزل و قد جهزت نفسها بإنتظاره فأخذت معها حقيبة صغيرة،

عندما حضر والدها ليأخدها، ودعتها والدتها قائلتا:

قد تلتقين مجد في المستشفى، بلغيه سلامي يا عزيزتي.

أومأت لها و قبل أن تسألها من يكون مجد؟ كان والدها يناديها بالأسفل في السيارة فهرولت مسرعة بعد أن قبلت وجنتا أمها.

في السيارة سألت رحمة والدها:

من يكون مجد يا أبي؟

فأجاب: إنه إبن صديقي الذي حدثتك عنه منذ أيام، يعمل طبيبا في مستشفى سانت لويس، إنه طبيب عبقري!

أومأت برأسها و قالت: هكذا إذن.

و في الطائرة راحت رحمة ترتب بعض أمورها الدراسية في رأسها، فالإمتحانات بعد العطلة و هي لم تدرس جيدا لذلك، و كانت معتادة على التخطيط لكل شيء تقوم به!

في الصباح تستيقظ بنشاط و تؤدي فرضها و تقرأ أذكارها ثم تذهب للمطبخ حيث أمها و تثرثر بلا إنقطاع عن كل شيء، ثم تساعدها في إعداد الغذاء، و بعد الغذاء تنزوي في غرفتها تقرأ كتبها التي قررت قراءتها في العطلة، و في المساء يعود والدها فتدردش معه عن علم الفلك، يفتح هو الموضوع بحماس الرجل المثقف فتسأله هي بفصول عن كل التفاصيل و تتجول كثيرا في أنحاء البيت فهي مصابة نوعا ما بفرط الحركة!

ثم ينتهي يومها و هي لم تدرس شيئا إلا بضع صفحات هنا و هناك!

لم تكن رحمة بالطالبة المتفوقة و لا الضعيفة، كانت عادية و لم تكن تسعى للتفوق من الأساس فهي ترى أن التفوق الحقيقي و المفيد يكون في المهنة.

عندما وصلا و أصبحا في مطار شارل ديغول بباريس بحلول المساء، إتجها مباشرة إلى الفندق.

قال والدها: إستريحي اليوم يا عزيزتي و غذا سنذهب للمستشفى.

أومأت له و غطت في نوم عميق في وقت باكر.

٤

لقاء.

كان مجد يزاول عمله في الصباح بنشاط و دون ملل، في مكتبه إستقبل مريضا هو طفل صغير يبلغ من العمر عامان صحبة والدته الشابة، أعطته والدته الوصفة التي وصفها له الطبيب السابق الذي لجأت إليه.

فأمسكها مجد و قرأها بإستغراب،

قالت المرأة: لم تتحسن حال إبني بعدما أخد دواء الإكزيما، لقد شخصه الطبيب بالإكزيما و لكن أظن أن هناك خطئا ما.

فكر مجد مليا، ثم طلب من الصغير أن يجلس فوق السرير الطبي و راح يفحصه بدقة، لاحظ أنه يعاني بالفعل من الإكزيما و لكنه لاحظ أيضا أن رائحة جلده و تنفسه كريهة فسأل على الفور والدته إذا كانت قد لاحظت أن رائحة بوله كريهة أيضا.

فقالت أن هذا صحيح، لاحظ مجد أيضا بطء نمو الصبي فمن بمثل عمره يكون حجمهم أكبر من حجمه.

كان قد تأكد من أن الصبي يعاني من مرض البوال التخلفي و لكنه أراد أن يتأكد أكثر بإجراء فحص له لقياس نسبة الحمض الأميني "فينين ألانين" ، إذا كان موجودا بجسمه بكثرة فهذا يعني أنه مصاب بهذا المرض، فهذا المرض نتيجة لتراكم هذا الحمض في الجسم.

قال مجد و هو يضرب جبهته بقبضته بحنق: يا إلهي أطباء هذه الأيام مجرد عابثون، الإكزيما مجرد عرض للمرض الأساسي،أي غبي هذا.

ثم قال في نفسه: هناك من لا يفرق بين لدغة الأفعى و عضة الكلب!

أخبر أمه بحالة صغيرها و وصف لها الدواء الصحيح و أعطاها نظاما غذائيا ينص على تجنب أكل البيض و السمك و العديد من الأطعمة الأخرى التي تحتوي هذا الحمض الأميني.

و بينما كان الطفل يستعد للخروج إبتسم له مجد من وراء مكتبه و أعطاه لوح شوكولاطة أخرجه من درج مكتبه، كان يحتفظ بالعديد منها من أجل المرضى الصغار، إبتسم الطفل في بهجة و أخدها و كذلك إبتسمت والدته بينما تأخد بيده و يمشيان نحو الباب.

تنهد و فكر في مدى جمال الصغار، هو بالتأكيد يريد أن يكون له طفل و لكن لا يريد أن تكون له زوجة!

لديه عملية جراحية لإزالة الجلد الميت (إنظار) بعد ساعة، وثب من مكانه و ذهب لإحضار تقرير المريض الذي لم يصله بعد.

في ذلك الوقت كانت رحمة بالمستشفى لقد تركها والدها في مدخل المستشفى و ذهب لشراء بعض الزهور من محل قريب من المستشفى، لم تستطع الأخيرة تحمل البرد في الخارج، كانت تفرك ذراعيها بيديها من فوق معطفها الصوفي البني الطويل، كانت ترتدي سروال جينز فضفاضا و تيشرت صوفي فوقه المعطف و كان لون حجابها أسودا كالعادة، فهي غالبا ما ترتدي حجابا أسودا.

دخلت للمستشفى و راحت تمشي في أورقتها بلا هدى، فقط تراقب هندستها و شكلها فهي تحب المستشفيات و تحب رائحتها و تتخيل دوما كيف ستعمل فيها بعد تخرجها.

ثم أمسكت هاتفها و راحت تراسل والدها تسأله عن سبب تأخره بينما تمشي،

و في ذلك الوقت خرج مجد من الممر كان هو الآخر يحمل تقرير المريض بين يديه و يقرأه بتركيز بينما يهرول مسرعا، فمشيته عادة ما تكون خفيفة و سريعة، و إلتقيا فإصطدما ببعضهما.

و ضربت رحمة بهاتفها في جبهتها فتأوهت بألم رفعت نظرها عاليا لتنظر إلى هذا الرجل، ففوجئت به ينظر إليها بحدة.

قال بالفرنسية : أنظري أمامك!

فأجابت بنفس الحدة و بالفرنسية: أنظر أنت أمامك! ألم تكن تمشي دون النظر؟!

قال و هو يطالعها بسخرية: الأولى أن تنظري أنت أمامك تحملين الهاتف و تقلبين في التوافه بينما أحمل أنا تقرير مريض، من الأحق؟!

فأجابت: و لم أنت فظ هكذا؟!

مضى في طريقه غير آبه بها و مئزره الأبيض يتطاير من وراءه، فحدقت به بإنزعاج و شتمته باللهجة الجزائرية قائلتا:

" بوطو بلا خيوط "(أي طول دون عرض لأنه طويل و نحيف). ظنت أنه لن يفهمها و لكنه فاجئها عندما إلتفت إليها يحدق بها بدهشة و إنزعاج، إندهشت هي الأخرى.

قال باللهجة الجزائرية: ماذا؟!(وشيا؟)

فقالت: إذا أنت جزائري!

قلب عينيه بإنزعاج ثم قال: نعم جزائري و أفهم ما تشتميني به ، إذا كان لديك كلام قوليه لي مباشرة.

لم تجد رحمة ما تقول فإنسحب سريعا من عندها ذاهبا إلى وجهته. و لكنه توقف في منتصف الطريق و قال ملتفتا لها و على ثغره إبتسامة ساخرة:

پينازة.(أي قصيرة)

شتمها هو الآخر باللهجة الجزائرية. وقفت مصدومة و هرول هو مسرعا، غضبت بشدة و زفرت بحنق.

ثم قالت في نفسها: ليس الأمر كما لو أنني خفت منك! أنا فقط لم أجد شتمة مناسبة بالفرنسية.

و في ذلك الوقت جاءتها رسالة من والدها يخبرها فيها أن تنزل لصالة الإستقبال في الأسفل لأنه حضر.

فنزلت و وجدته بإنتظارها، كان يحمل زهور توليب بيضاء اللون في يده، سأل موظفة الإستقبال عن أخته، فأخبرته بمكان غرفتها.

عندما دخلوا إلى غرفة العمة "ريتا" كانت تحدق مطولا من نافدتها من فوق سريرها المجاور لها.

عندما رأتهم إبتسمت كل ملامحها، كانت شاحبة و يظهر عليها المرض بوضوح، إمرأة في الأربعينات من عمرها ، جميلة الوجه، نحيفة الجسم بهالة إيجابية.

قالت: جاسر و رحمة! أهلا بكما.

قال جاسر: صباح الخير يا ريتا، كيف حالك؟ كيف تشعرين؟

فأجابت: صباح النور، أنا بخير و الحمد لله.

بينما إبتسمت رحمة لها و تقدمت إليها و هي تحمل الزهور التي قدمها لها والدها، قدمتها لعمتها قائلتا:

سلامتك يا عمة ريتا، كيف حالك؟

فأجابت: بخير يا عزيزتي، لقد إزددت جمالا و عذوبة، لم أرك منذ سنة!

قالت رحمة: صحيح! و قد إشتقت إليك.

ريتا: و أنا أيضا يا رحمة، يجب أن تزوريني بعد أن أشفى بإذن الله، لقد جهزت لك الكثير من الكتب.

قالت جملتها الأخيرة و هي تغمز لرحمة، فإبتسمت الأخيرة بسعادة و قالت: ستشفين إن شاء الله يا عمتي.

كانت العمة ريتا قد بدأت العلاج منذ شهر و لا يزال أمامها عدة أشهر حتى تشفى.

كانت هناك بعض المشاكل مع عائلة أبيها فهو كان متشاجرا مع عائلته نوعا ما، إذ لم يوافق والده على عمله في مجال الفيزياء الكونية و لكن جاسر رفض أن يقرر له والده مستقبله و يقتل له شغفه فكانت العلاقة بالعائلة متصدعة و لكن أخته ريتا كانت داعمة على عكس والديهما.

و في وكالة الفضاء إلتقى بحب حياته صفاء و تزوجا، فشغفنا الشيء أحيانا يجعلنا نقابل شغفنا الشخص.

كانت العمة ريتا إمرأة وحيدة و قد توفي زوجها و تزوج إبنها الوحيد و قلت زيارته لها إعتادت رحمة أن تزورها في صغرها كثيرا و أثناء مراهقتها، تقريبا تكون عندها كل عام، و قد ساهم ذلك في تعلمها الفرنسية بشكل كبير، كانت العمة ريتا هي الشخص الذي تتوجه إليه رحمة من أجل النصح، إذا إستصعبت عليها الأمور تسألها النصح، و إذا أرقها سؤال وجودي ما تسألها أيضا.

بعد خروجهم من عند العمة، إتجه والد رحمة نحو غرفة الإستقبال مجددا يسأل عن الدكتور مجد لأنه يريد زيارته و لكنها أخبرته أنه يجري عملية جراحية الآن.

فخرج كلاهما من المستشفى دون رؤيته، و إستعدوا للعودة إلى البيت و بذلك إنتهت الرحلة الخفيفة إلى باريس.

و قد قابلت رحمة مجد دون أن تعلم بذلك!

٥

صديقتان.

كان الوقت مساءا و كانت رحمة تقرأ وردها اليومي في مصحفها بنفسجي اللون بخشوع، عندما نادتها أمها بصوت عال قائلتا:

رحمة، حان وقت الخروج، تجهزي.

صدقت ما قرأت ثم أغلقت المصحف و وضعته جانبا على مكتبها الدراسي و نهضت تنزع إسدال الصلاة، لم تكن ترغب كثيرا بهذه الزيارة إلى بيت العم رحيم صديق والديها، فهي لا تحب الذهاب إلى أماكن لم تألفها و لكنها ستذهب تلبية لطلب والدتها.

إرتدت ثياب الخروج و وضعت بعض المكياج و قد أصبح وجهها شاحبا مؤخرا إذ أصبحت تسهر لتنهي مراجعة دروسها المتراكمة.

و عندما خرجت من غرفتها كانت أمها و أخوها ينتظرانها عند عتبة الباب، قالت والدتها:

إذا لم ترغبي بالذهاب ظلي هنا، و لكنني واثقة أنك ستعجبين بالزيارة.

أومأت لها رحمة و قالت: سأذهب يا أمي.

بالأسفل كان جاسر ينتظرهم في السيارة يقرأ الجريدة و عندما رآهم خرج من السيارة و راحوا يمشون على الطريق نحو اليمين، سألت رحمة بإستغراب:

أمي هل سنذهب مشيا؟

صفاء: نعم فبيتهم ليس بعيدا.

و بعد عدة خطوات وصلوا إلى العمارة و صعدوا إلى الطابق الثاني، و عندما دقت صفاء الباب فتحت لها إمرأة خمسينية جميلة، ممتلئة الجسم و ذات وجه بشوش. تغطي شعرها البني القصير بخمار أسود.

قالت صفاء ببهجة: وردة؟! آه كم إشتقت إليك.

و إندفعت إلى حضنها فطوقتها وردة ببهجة مماثلة قائلتا: ليس أكثر مني يا حبيبتي.

دعتهم للدخول و فورما دخلوا قالت وردة و هي تشير إلى رحمة:

من هذه الفتاة الجميلة؟

صفاء بضحك: إنها رحمة أنسيتها؟

إتسعت إبتسامة وردة و قالت و هي تحتضنها: لقد كبرت يا عزيزتي و أصبحت إمرأة جذابة.

إبتسمت رحمة لإطراءها، و شعرت بالراحة حقا في هذا البيت لقد كانت رافضة للزيارة خشية شعورها بالغربة و لكنها لسبب ما تشعر بالإنتماء هنا!

و بالرغم من أن المرأة عرفتها إلا أنها لم تتعرف عليها، سألتها و هي تأخدهم نحو الصالة: هل إلتقينا من قبل يا خالة؟

ضحكت وردة كعادتها فالإبتسامة لا تفارق وجهها و قالت:

كنت صغيرة يا رحمة، ربما في الخامسة، كان والداك يزوراننا و يحضرانك.

فقالت صفاء: لقد إفترقنا بعد تقاعد رحيم و تغييرهم لمسكنهم و إنقطعت أخبارهم عنا و ها قد كتب لنا الله لقاءا آخر و إلتقينا.

بعدما إلتقى رحيم بجاسر صدفة في الشارع!

أومأت لها رحمة و في تلك اللحظة دخلت وئام بحماس للجلسة، وجلست إلى جوار رحمة في الكنبة بعد أن سلمت على الجميع و ما هي إلا دقائق بعد ضيافة وردة بالحلويات و القهوة على الطريقة الجزائرية حتى إنفض الجمع فجلس كل مع رفيقه.

إلتقى جاسر بصاحبه رحيم و راحا يثرثران في مكتب رحيم في مواضيع خاصة و راحت وردة و صفاء تثرثران في أحاديث النساء التي لا تنتهي. بينما ذهبت رحمة مع وئام إلى غرفة الأخيرة.

في الغرفة كانت وئام لا تكف عن الثرثرة، تتحدث في كل شيء و كأنها تعرف رحمة منذ زمن بعيد و هي كذلك فعلا فقد كانتا

تلعبان معا في صغرهما، كذلك كانت رحمة معها منسابة في الحديث، خمنت رحمة أنه من المستحيل أن يشعر الإنسان بالغربة في مكان به نفوس طيبة، بل يشعر بالراحة و السكون.

و قد شعرت بالوئام مع وئام.

كانت وئام فتاة جميلة ذات عينان لوزيتان لامعتان عسليتان و كأن العسل سكب فيهما و شعر قصير يميل للأشقر و بشرة بيضاء، و كانت متوسطة الطول.

كانت الفتاتان تجلسان فوق سرير وئام و ركبتاهما متلامستان، قالت وئام و إلتماعة في عينيها: إبقي يا رحمة لليوم رجاءا.

فأجابت رحمة بإبتسامة: لك ذلك يا عزيزتي.

و لاحقا حينما هم والداها بالعودة إلى البيت أخبرتهم أنها تريد أن تبيت مع وئام لليلة ففرحت أمها لتآلفهما و ودعتها بقبلة على وجنتها.

بعدها حاولت رحمة مع وردة أن تدعها تساعدها في المطبخ و لكن الأخيرة رفضت و قالت: لا تتعبي نفسك يا بنيتي، أنا معتادة من الأصل على القيام بكل شيء وحدي، فإبنتي كسول.

قالت و هي ترمق وئام بطرف عينها، فإغتاضت وئام و سحبت رحمة قائلتا: تعالي معي يا رحمة و دعيها تفعل ما تشاء!

في الغرفة راحت وئام تري كتبها لرحمة التي تابعت العرض بشغف، كانت تقول: هذا منحني إياه أخي مجد. و هذا إشتراه لي.

قالت رحمة: يبدو أنك تحبين مجد كثيرا.

فأجابت وئام بتلقائية: نعم! بالرغم من أننا نتشاجر على الدوام إلا أنني أحبه و أشتاق إليه كثيرا!

و بعد العشاء أوت الفتاتان إلى فراشيهما حيث إتخذت وئام سريرها كفراش لها و أفرشت لرحمة على الأرض تحتها و ثرثرتا لوقت طويل من الليل، كانت وئام تتحدث كثيرا عن خطيبها هشام و كانت تسأل رحمة عن حياة الإقامة و تخصصها فهي كانت تدرس بالمدرسة العليا للتجارة بالقليعة في سنتها الأخيرة فلم تبتعد عن بيتهم.

قالت عن خطيبها بينما تنظر لخاتمها في يدها: أتعلمين يا رحمة؟ إنني أحبه إلى حد ما، نعم أشعر بالإنسجام معه و لكنني أكره فيه إستماعه إلى أمه في كل شيء! ألا يملك شخصية مستقلة؟!

فأجابت رحمة من فورها: إنه إبن أمه إذا (فيسا مامون بالجزائرية)، إذا لم ترتاحي إتركيه فقط يا وئام ففترة الخطوبة من أجل رؤية هذه الأشياء و الإحتياط منها.

قالت وئام و هي تنظر إلى سقف الجدارفي الظلام بتأمل:

نعم، معك حق، ماذا عنك يا رحمة؟ هل تحبين شخصا ما؟

رحمة: أبدا، لم يطرق الحب باب قلبي بعد و إنني أدعو أن لا يتعلق قلبي بما هو ليس لي.

وئام: اللهم آمين يا رحمة.

سألتها رحمة قائلتا: منذ متى و أنتما مخطوبان يا وئام؟

فأجابت: منذ أشهر فقط.

ثم غفت وئام بهدوء و تبعتها رحمة التي سكتت بعد سكوت وئام و سمحت للنعاس بالتسلل لجفنيها و النوم بالإستيلاء عليها.

و في ذلك الوقت بباريس عند مجد، كان يحضر حقيبته للسفر عائدا إلى منزله أخيرا دون أن يخبرهم لتكون مفاجئة لهم.

٦

تلك الطفلة!

عندما عاد مجد إلى المنزل تسللت إلى أنفه رائحة الكسرة التي تعدها أمه كل يوم من عتبة الباب، فشعر بدفء الجزائر يتغلغل في أعماقه مجددا.

كانت أخته تهم بالخروج من المطبخ بسعادة لأنها طردت منه كونها تفسد أكثر من ما تصلح و تسوي. حيث إختتمت والدتها توبيخها قائلتا:ماذا أقول لك؟على الأقل أنت متعلمة لو لم تكوني كذلك لكانت مصيبة.(لمزية برك جيتي قارية)

و كانت رحمة تمسك ضحكتها بصعوبة، كانت وردة تثني عليها و تقول أنها فتاة "فحلة". تفاجئت وئام برؤية مجد في الرواق، صرخت بأعلى صوت: مجد!

ثم إندفعت إلى أحضانه تحتضنه بقوة، بادلها الحضن بإبتسامة و قبل فروة رأسها، في المطبخ هرولت رحمة مسرعة تتسلل إلى غرفة وئام فقد كانت من دون حجابها! بينما إندفعت والدته نحو الرواق تاركة الكسرة على الطاجين، قبلته و إحتضنته قائلتا:

ولدي مجد، عزيزي، فلدة كبدي.

قبل جبينها و يديها بمعزة. ثم راحت الإثنتان تجرانه من ذراعيه إلى الصالون.

في ذلك الوقت عادت رحمة مجددا إلى المطبخ و قد إرتدت حجابها و راحت تقلب الكسرة و قد إنحرقت قليلا في الجانب.

جلست وردة تسأل إبنها بلا إنقطاع:

كيف حالك يا ولدي؟ كيف عملك؟ لماذا لم تخبرني أنك قادم؟ هل حافظت على صلاتك؟ هل أكلت جيدا؟ هل نمت جيدا؟ أنت لم تصاحب رفقاء السوء، صحيح؟

فيقول مجد بضحك: أمي أنا في الثلاثين، لست طفلا!

وردة: ستظل دائما طفلا في نظر أمك يا عزيزي.

فأمسك يديها بحب و قبلها و هو مبتسم، قال: أنا بخير، لم أخبركم بأمر مجيئي لأنني أردت أن تكون مفاجأة.

إبتسمت وئام بسعادة و هي تحتضنه من الخلف و قد صعدت فوقه:

أفضل مفاجئة يا مجد.

قال: أحضرت لك شيئا يا وئام.

وثبت بسعادة و سألت في فضول: ما هو؟

فنهض و إتجه نحو حقيبته، فتحها و أخرج علبة ثم أعطاها لوئام، فتحتها الأخيرة بلهفة فوجدتها عطرا فرنسيا راقيا.

قال: أعلم أنك تعشقين العطور.

فوثبت بسعادة و إحتضنته صاعدة فوقه مجددا و قالت: أخي أنت الأفضل!

فحملها وراء ظهره و هما يضحكان، كان معتادا على أن يحملها في صغرها و يطوف بها في أنحاء البيت.

كانت والدتهما تراقب ذلك ضاحكة، أكثر ما يسعدها هو إجتماع أبناءها معا.

و بعد قليل نهضت لتعد شيئا من أجل مجد ليأكله و دخلت المطبخ فوجدت رحمة و قد أنهت خبز الكسرة، قالت: شكرا يا رحمة.

فإبتسمت رحمة و خرجت من المطبخ، كان مجد قد ذهب لغرفته المغلقة و لكنه تذكر أنه لا يملك المفتاح فإتجه نحو المطبخ ليطلبه من والدته، فإلتقيا في الرواق.

فتح مجد عينيه بصدمة و قال: أنت! ماذا تفعلين هنا؟!

صدمت هي الأخرى و لم تعرف بما تعقب، لقد إستنتجت أن هذا الشخص هو نفسه مجد!

عندها حضرت وئام في الرواق بينهما و سألت بإستغراب و هي تمسك بكتف رحمة:

ما الأمر يا رحمة؟

فأجابت: لا شيء، و كان مجد ينظر إليهما بإستغراب فنظرت وئام نحوه و قالت:

هذه رحمة يا مجد، إنها إبنة عمي جاسر.

صدم مجد و قال و هو ينظر لرحمة: هكذا إذن.

كان يعرف العم جاسر و يحترمه كثيرا.

بادلته رحمة النظرة ثم إنسحبت من أمامهم إلى غرفة وئام قالت وئام مستفسرة: أنت لم تزعجها، صحيح؟

مجد: لم أفعل!

في الغرفة كانت رحمة تضحك من الموقف و تجهز نفسها للعودة للبيت إذ كان من المقرر أن تبيت ليلة واحدة.

و لكنها تفاجئت عندما تلقت إتصالا من والدتها.

قالت: رحمة، عزيزتي، لقد حدث أمر طارئ! يجب أن نعود أنا و والدك إلى أمريكا حالا، إبقي عند وردة إلى حين عودتنا.

فأجابت رحمة بإنفعال: خذاني معكما، رجاءا!

صفاء: سنصعد الطائرة بعد دقائق، لا نستطيع ذلك.

تنهدت رحمة و أغلقت الهاتف بحزن. حتى العطلة لم يكملاها معها! كما أنها لا تريد البقاء مع مجد في نفس المكان، إنه لموقف محرج!

دخل مجد إلى غرفته المرتبة و النظيفة إذ كانت والدته تنظفها دائما من حين لآخر، كانت زرقاء تماما فكل شيء فيها بالأزرق،

رتب ملابسه في خزانته و قد قرر البقاء لأسبوع أو أسبوعين ثم أبدل ثيابه لملابس بيتية و إستلقى على سريره واضعا رأسه بين يديه و راح يفكر في رحمة، إذا كانت إبنة العم جاسر ألا يعني هذا أنها نفس الطفلة ذات الثماني سنوات التي كان يحملها و يشتري لها الشوكولاطة عندما كان هو في السادسة عشر؟!

عندما كان ضعفها.

تلك الطفلة التي كانت تعترض طريقه عندما ينوي الذهاب إلى الثانوية بلعبة "البارادي" أمام باب العمارة، لازالت قصيرة كما عهدها، إبتسم لهذا الخاطر.

كان لتلك الطفلة قدرة عظيمة على لفت إنتباهه و جعله يرغب بالتعامل معها بجمالها و برائتها.

ظل يتذكر ومضات من الماضي حتى غفا و صورتها أمام عينيه.

أما رحمة فقد إنضمت إلى وردة في المطبخ و أخبرتها أنها ستمكث عندهم أكثر ففرحت الأخيرة و هي تخطط لتقريب مجد و رحمة من بعضهما لأنها تتمناها زوجة لإبنها، قالت:

مرحب بك دائما يا عزيزتي.

و كانت وئام تدخل المطبخ عندما سمعت ذلك فقالت بسعادة:

الحمد لله، أتمنى أن تمكثي عندنا دائما يا رحمة بدل الإقامة التي تسكنين فيها.

و غمزت لأمها و إبتسمتا بخبث بينما إبتسمت رحمة ببلاهة.

كانت وردة قد قررت إعداد طبق "الشخشوخة" على طريقة المرأة الجزائرية للترحيب بأحبابها، فأحضرت كمية كانت قد أعدتها من قبل من البراد و راحت تعدها بحب. و كانت رحمة تعد المرق الخاص بها.

و بعد ساعات نضج الغذاء و طلبت وردة من رحمة أن تذهب لإيقاظ مجد لإعلامه، فتوترت رحمة و لم تعلم كيف ترد طلبها أو كيف تلبيه، هي بين نارين.

فلما رأت وردة إرتباكها قالت: أطرقي الباب فقط، إن نومه خفيف سيستيقظ بسرعة.

أومأت رحمة و إتجهت نحو غرفته، ثم رفعت يدها و طرقت الباب عدة مرات دون أن يظهر أي صوت، حتى تفاجئت به يفتح الباب و هو يفرك عينه اليسرى و إستقرت قبضتها في صدره.

سحبتها بسرعة و قالت: لقد جهز الغذاء.

أومئ لها و قال: حسنا، أنا آت.

على طاولة الغذاء سأل مجد عن والده فأخبرته وردة أنه ذهب صباح اليوم عند جدته في قسنطينة، أومئ، ثم قال و هو يبلع ما في فمه:

سأذهب لاحقا إلى غزة من أجل إغاثة الجرحى.

شهقت أمه متفاجئة مذعورة، وضعت يدها على صدرها و قالت:

ماذا لو مت يا مجد؟

نظر إليها مجد و قال بجدية : ستكون عندها طريقة رائعة للموت.

شهقت ثانيتا بينما نظرت إليه رحمة بإحترام و قالت بلا شعور منها: نعم إنها طريقة رائعة للموت.

نظر إليها فإلتقت أعينهما ثم أشاحا بنظرهما سريعا، قالت وئام:

أهذا من أنشطة المنظمة التي تنتمي إليها؟ كيف كان إسمها؟... آه، أطباء بلا حدود.

فقال مجد: نعم، هذا صحيح.

وردة: إنني أخاف عليك يا مجد رجاءا لا تذهب.

مجد: كيف لا أذهب؟! ألا ترين كيف هو القصف الإسرائيلي الوحشي هذه الأيام؟! كيف أجلس دون فعل شيء و أنا طبيب أقسمت على تكريس مهاراتي للناس!

تنهدت وردة بحرقة ثم سكتت هي تعرف عناد إبنها، لقد ذهب من قبل إلى غزة و لكن الآن لقد إزداد الوضع سوءا بها و هي تخاف أن تفقده في وحشية إسرائيلية مفاجئة!

كانت رحمة تبكي فلسطين كل أسبوع تقريبا، ما تلبث أن تنساها حتى تتذكرها مجددا بقلب جريح و قد حسدت مجدا في أعماقها لقدرته على تقديم المساعدة و إنصدمت بمعرفتها أنه عضو في منظمة "أطباء بلا حدود"، إنها منظمة عالمية تطوعية تغيث المتضررين من الكوارث و الحروب و... و تقع في فرنسا.

عندما تسمع بأي من أخبار فلسطين تجهش بالبكاء لدقائق طويلة تتخيل حياتهم ثم تحمد الله لدقائق عديدة أخرى فنعمة الأمن لا تقدر بثمن!

عندما فرغوا من الغذاء خرج مجد و راحت وئام و رحمة ينظفان الطاولة و كانت وردة تجلس على كنبة الصالون تفكر واضعة يدها على خدها.

قالت وئام و هي تتجه للمطبخ و بيدها أطباق: ستبقى أمي مفجوعة لأيام و ستكون غاضبة لاحقا من الأفضل أن لا أزعجها!

رحمة بمشاغبة: و هل كنت تخططين لأن تزعجيها؟!

وئام بضحك: لا طبعا، إنني أزعجها من دون قصد عادة.

خفقان.

كانت قد تبقت سبعة أيام فقط في العطلة الشتوية عندما غادرت أسرة رحمة لأمريكا، و ها قد مر يومين دون أن يأتو.

و اليوم ستذهب رحمة إلى بيتها من أجل إحضار أدواتها الدراسية و بعض الأغراض الأخرى لأنها توجست من أن أسرتها لن تأتي حاليا أبدا!

كانت ترتدي حذاؤها عند عتبة الدار عندما نادت وردة مجد قائلتا:

مجد، تعال.

إستغربت رحمة ذلك و رفعت رأسها فأتى مجد من غرفته و هو يقول: نعم يا أمي.

وردة: أوصل رحمة يا عزيزي إلى بيتها، ستذهب لتحضر أغراضها.

أومئ مجد، فقالت رحمة بتوتر: لا داعي لذلك، سأذهب وحدي!

وردة بحسم: لا، سيوصلك.

ذهب مجد لتغيير ثيابه و بعد خمس دقائق فقط كان يقف أمامها بكامل أناقته، نظر إليها ثم فتح الباب و خرج فخرجت وراءه.

في الطريق بينما يمشيان جنبا إلى جنب سألها بفضول:

ماذا تدرسين؟

فأجابت و هي تنظر لوجهه: الطب.

شهق و قال: حقا! في أي سنة؟

رحمة: الرابعة.

مجد: و لم الرابعة؟ ألست بعمر وئام؟ من المفترض أن تكوني بالخامسة.

رحمة: نعم، لقد أعدت البكالوريا مرتين من أجل الوصول للطب.

همهم و أومئ برأسه.

عندما وصلا للبيت، دخلت رحمة بينما ينتظرها هو بالخارج، أحضرت كراريسها و حاسوبها و مكياجها و ثيابا بيتية و كتبها الأدبية، إن رحمة لا تستطيع العيش من دون كتب لا يهم إن قرأت سطرا في أسبوع المهم أنها تستمر مع الكتب دائما، وضعتهم في حقيبة و خرجت إليه.

كان يحدق بالباب واضعا يديه في جيبيه و عندما رآها حمل عنها الحقيبة، إعترضت فقال: لا أحب أن يكون مجيئي من دون فائدة.

ثم أردف: كما أنك قصيرة و هذه الحقيبة ستجعلك تهبطين للأرض أكثر.

حدقت فيه بحدة و قالت: أنت مشكور أيها الطويل على تفكيرك في قصيرة مثلي.

قال ببرود: العفو. وكان يحبس ضحكته،

أبعدت عيناها عنه و أغلقت الباب و هبطا معا، أوصلها للبيت و بعد أن دخلت خرج هو مجددا.

و بعد دقائق من خروج مجد عادت وئام من خرجتها مع خطيبها و كانت حزينة النفس، دخلت بسرعة لغرفتها دون التحدث لأحد.

فسارعت رحمة إليها لتسألها عن ما بها؟ و لكنها فوجئت عند دخولها للغرفة برؤية وئام تبكي.

جلست إلى جانبها و قالت و هي تربت على حجابها:

ما الأمر؟!

نظرت إليها وئام بحزن و قالت: لقد ضربني يا رحمة، لا أريد البقاء معه بعد اليوم!

ثم إندفعت لحضنها فطوقتها رحمة و قالت بغضب: كيف يجرؤ على هذا؟! أخبريني ما الذي حدث منذ البداية.

إعتدلت وئام في جلستها و مسحت دموعها ثم قالت:

في طريق عودتنا بالسيارة كنا نتحدث، سألته بشكل عادي لما لا يكمل الدكتوراه فقال أن أمه لا تريد ذلك!

هنا لم أستطع التحمل و قلت له دون تفكير، لماذا تتدخل أمك في كل تفاصيل حياتك، ألا تملك شخصية مستقلة؟

فغضب و ضربني بكف قوية في خدي الأيمن.

قالت وئام و هي تشير لخدها الأيمن بوجع، فغضبت رحمة أكثر و قالت: معك حق في ما قلته يا وئام، إنه عديم الشخصية و لا يريد الإعتراف بالأمر و لهذا ضربك.

جاءت وردة لتفقد إبنتها إذ من عادتها أن تأتي لتسلم عليها و تسرد عليها الكثير من الأشياء بعد خرجتها مع هشام فوجدتهما بتلك الحالة فتوجست خيفة.

قالت: ما الأمر يا بنات؟!

سردت عليها رحمة ما حدث، فضربت وردة صدرها بكلتا يديها و قالت: لا سامحه الله، أئتمنه على إبنتي فيؤذيها؟!

ثم نهضت و قالت بقوة: سأتصل بمجد و أريه كيف يجرؤ على ذلك!

ذهبت و إتصلت بمجد و إتصلت بهشام أيضا ليأتي ليتمكنوا من تسوية الأمور.

حضر هشام و جلس في الصالة معهم بينما ترمقه وردة شزرا في إنتظار مجد، كان يحاول التحدث معها فتقول بحسم:

لا تتحدث إلي! سيأتي مجد و تتحدث معه.

و بعد دقائق،

دخل مجد بغضب للصالة و نظر إلى هشام بغيظ ثم إتجه إليه و قال و هو يصر على أسنانه: كيف تجرؤ على ضرب أختي؟

هشام بإضطراب: الأمر ليس كذلك، دعني أفهمك يا مجد.

فأنهضه مجد و أمسكه من ياقة قميصه بعنف قائلا:

هل تسمي نفسك رجلا! تستقوى على إمرأة أضعف منك!

و حينها تدخلت رحمة إذ أمسكته من ذراعه قائلتا:

إهدئ يا مجد، هذه ليست لغتك!

نظر إليها ثم حول نظره إليه، يحدق به بإشمئزاز و تركه. كانت وئام تتطلع في حزن.

قال: لا أريد أن أفهم شيئا، إذا كنت قد تجرأت على ضربها و هي في بيتي فماذا ستفعل بها عندما تصبح في بيتك؟!

عدل هشام هندامه ثم قال: لقد أساءت إلي بالكلام، ربي أختك أولا ثم إنهرني.

قال مجد و هو يشير لفمه: أتعلم؟ لديك ٤٤ عضلة في فمك، إذا كنت لا تريد إستعمالها للكلام فلا مشكلة لدي بكسرها لك.

و أردف و عيناه تقدح شررا:أختي متربية أحسن منك.

تنهد هشام بغضب ثم حول نظره لوئام، فقال مجد:

إنسى الأمر، لن تراها مجددا، هي لا تريدك أليس كذلك؟

قال و هو ينظر نحو وئام.

فقالت الأخيرة بقوة: بالطبع لا أريده.

ثم سحبت الخاتم من جيبها إذ إنترعته من يدها في وقت سابق و وضعته على الطاولة و هي ترمقه شزرا.

قال هشام بنبرة متوسلة: سامحيني يا وئام.

أشاحت بوجهها عنه، فقال مجد: أخرج حالا، حتى إن سامحتك فأنا غير موافق على رجوعها إليك.

فخرج هشام من عندهم بسرعة و عم الصمت في الصالة، طوال الحوار لم تتدخل وردة فقد تركت الأمر لإبنها ليسويه.

إقترب مجد من وئام و إحتضنها بحب و قال: لا عليك يا عزيزتي.

فبادلته وئام الحضن بقوة و قالت: شكرا يا مجد.

أما رحمة فقد أعجبتها رجولة مجد و حنيته و تحكمه في الموقف.

•••••••••

و في الليل، كانت رحمة تجلس في الصالة تقرأ كتابها بتمعن عندما دخل عليها مجد يبحث عن الشاحن الخاص به، كانت قد فضلت ترك وئام لوحدها لبعض الوقت لكي ترتب أفكارها.

إنتبهت رحمة له و لاحظت أن الشاحن إلى جانبها فوق الكنبة فقالت: هل تبحث عن هذا؟

نظر إليها و قال: نعم.

إتجه نحوها و أخده منها ثم جلس إلى جانبها و قال: ماذا تقرئين؟

فأجابت و هي تريه غلاف الكتاب: الجزء الثاني من الجريمة و العقاب.

أومئ مجد و قال: لم أقرأ الجزء الثاني قط.

إبتسمت رحمة له و قالت: سأعيرك إياه بعدما أنتهي منه.

فإبتسم مجد و هو ينظر في عينيها قائلا: شكرا.

ظل يرمقها بتمعن و قد لاحظ أن عيناها جميلتان فإرتبكت من نظراته و أشاحت بنظرها عنه نحو الكتاب، فتدارك موقفه بعد فوات الأوان.

نهض قائلا: عمت مساءا.

فأجابته بإبتسامة: عمت مساءا. إتجه نحو غرفته و قلبه يخفق بعنف!

٨

نهاية العالم.

في الصباح التالي، عاد رحيم إلى البيت و إستقبله مجد عند الباب بحضن طويل و إبتسامة سعيدة.

رحيم و هو يحرك رأسه بشكل دائري كعادة الجزائريين عندما لا يعجبهم شيء: أطلت في تذكرنا؟!(هاذا وين تتفكرنا؟)

ضحك مجد و قال: إعذرني يا أبي، إنها أشغال لا تنتهي و الله.

أمسكه رحيم من كتفيه قائلا: لدي الكثير من الحكايات لأخبرك بها.

أومئ له مجد و إتجها حيث يعلم كلاهما، إلى مكتب رحيم الذي لا يدخله سواه. و في ذلك الوقت كانت رحمة تحضر لهما القهوة كما طلبت منها وردة بينما هي تحضر الغذاء، كانت وئام قد خرجت مع صديقاتها لتنسى ما حدث لها مع هشام البارحة.

كان رحيم رجلا متيما بعلم الفلك و الفيزياء الكونية، تلمع عيناه كلما سمع حديثا عنه و كان بالإضافة إلى ذلك رجلا موسوعي

المعرفة و يجيد قراءة الناس أيضا و كان يثق بإبنه ثقة عمياء و يفتخر به أكثر من أي شيء آخر و يقول:مجد هو مجدي.

أما عن شكله فهو طويل ذو شعر أسود يصبغه بإستمرار كلما ظهرت لديه آثار الشيب و عينان عسليتان لامعتان أما جسمه فلا هو بالنحيل و لا بالسمين.

و بعد دقائق، دخلت عليهم رحمة و في يدها صينية القهوة وضعتها أمامهم على المكتب و لكنها لاحظت الوجوم على وجه مجد بشكل صدمها!

إبتسم لها رحيم و قال: شكرا يا بنيتي.

بعد خروجها قال مجد بإندهاش:

أهذا يعني أنها نهاية العالم؟!

رحيم بجدية: قد نجد حلا ما!

مجد: و لكن لم تخبرني بالأمر و هو سري جدا! أنا واثق أنه حتى رحمة لا تعلم.

رحيم: أنا أثق بأنك لن تخبر أحدا، كما أنني أعول عليك في شيء ما.

مجد بعدم إستيعاب: و ما هو؟!

رحيم: جد حلا من نوع ما، فكر كمنقذ فهذا تخصصك.

نظر إليه مجد بتمعن و قد فهم ما يقصده، قال: حسنا.

قال مجد و هو يفكر بتمعن: إشرح لي ما هذه الظاهرة بالضبط.

زفر رحيم ببطء ثم قال:

إنفجار أشعة غاما هي من أكثر الظواهر رعبا في الكون، تحدث إما بإصطدام نجمين نيوترونيين ببعضهما مخلفين ثقبا أسودا و النجم النيوتروني هو...

قاطعه مجد قائلا: أعرف ماهو النجم النيوتروني، أكمل رجاءا.

رحيم: أو عند إنفجار مستعر أعظم (السوبرنوفا) محدثا موجة هائلة من أشعة غاما كفيلة بتدمير عوالم أو الأشد فتكا التي تنتج من الأشعة المركزة التي تصدر من دوران الثقب الأسود اللامحدود حول نفسه ما ينتج ليزر عملاق يسحق كل ما في طريقه لمسافات هائلة في الكون.

زفر رحيم مجددا و قال: و الحالة الثالثة هي المعنية هنا.

نظر إليه مجد و قال: الأشد فتكا!

رحيم: إن إنفجار أشعة غاما لا يكون خطيرا عادة إلا إذا حدث على مسافة قريبة منا تقدر بثلاثة آلاف سنة ضوئية أو أقل. و لا يمكن التنبؤ بها أبدا قبل حدوثها أو التعامل معها حتى إذا عرفنا بها!

قال مجد بعدم فهم: إذا كيف رصدتموها و عرفتم أنها ستحدث بعد ٧٠ سنة؟! و هل هي قريبة جدا؟!

رحيم: لقد قام عالم في الناسا بتطوير جهاز يمكن من رصدها، حتى لسنين قادمة! و إنصدمنا عندما أدركنا أنها ستحدث بعد

سبعين سنة على بعد ١٠ سنين ضوئية فقط!! تخيل ذلك يا مجد، سنصبح غبارا في الفضاء!

مجد بموضوعية: و هل هم متأكدون من صحة هذا الجهاز؟ قد لا يعمل حقا!

رحيم: للأسف هذا الجهاز حقيقي فعلا، لقد تم تجريبه و رصد أشعة غاما بعيدة عنا به يوميا قبل حدوثها! و هو ما لا يمكن حدوثه في الحالة العادية.

أمسك مجد جبينه و زفر قائلا:

هذا أقرب للخيال!

رحيم بتأمل: لا شيء أقرب للخيال في علم الفلك يا ولدي، إنه علم بديع يحدث فيه ما لا تصدقه عيناك.

مجد: إذا العم جاسر هو من أخبرك بهذا؟

رحيم: نعم.

أومئ مجد له و راح يفكر بعمق معلقا نظره على صورته المفضلة في مكتب والده صورة إنفجار السوبرنوفا البديع و تحتها الآية الكريمة:(فإذا إنشقت السماء فكانت وردة كالدهان).

لم يستطع تقبل فكرة أن نهاية العالم بعد سبعين سنة!

●●●●●●

بعد أيام،

إنتهت العطلة الشتوية و كان على رحمة العودة إلى الإقامة الجامعية، ها قد تأكدت شكوكها، لم تعد أسرتها أبدا! غضبت كثيرا في أعماقها منهم و لكنها شعرت بالأمان و الإنتماء في الأسبوع الذي قضته عند عائلة مجد، كانوا جميعا لطيفين معها و قد أصبحت معاملتها مع مجد أكثر سلاسة.

وقفت في غرفتها تلملم أشياءها و كانت وردة تثنيها عن الذهاب قائلتا: إبقي يا عزيزتي، مجد سيغادر لاحقا و يعطيك غرفته.

شهقت رحمة متفاجئة: لا تجبريه على ذلك يا خالة رجاءا.

وردة بحنو: لم أجبره! لقد أعرب لوحده عن رغبته في منحك غرفته، قال ليس عليها البقاء في الإقامة و غرفتي موجودة.

إحمرت وجنتا رحمة و فكرت كم أن سلوك مجد نبيل.

قالت: حسنا سأبقى، أحتاج فقط إلى الذهاب للإقامة لكي أحضر أشيائي و أعلم صديقتي إسمهان و قضاء بعد الأمور.

أومأت وردة برأسها بقوة قائلتا: حسنا، سيوصلك مجد بسيارته.

وافقت رحمة و راحت توضب أشياءها تعيدها لمكانها و كانت وئام تساعدها في ذلك بسعادة قائلتا:

أخيرا أصبح لدي أخت، أنا أشعر بالوحدة دون وجود مجد عادة.

إبتسمت لها رحمة بحب و قالت: و أنا كنت لأشعر بالوحدة لولاكم.

في الخارج كان ينتظرها مجد، إبتسمت له و قالت مشيرة لغرفته عند الزاوية: شكرا لمنحي غرفتك، هذا لطف منك.

بادلها الإبتسامة و هو ينظر في عينيها قائلا:

هذا لا شيء، لا داعي لشكري.

ثم فتح لها الباب فخرجت أولا ثم خرج وراءها، ركبا سيارته و إتجها نحو الإقامة و عندما وصلا خرجت رحمة بينما بقي هو ينتظرها في السيارة.

قالت و هي تهم بإغلاق الباب: لن أتأخر.

أومئ لها و هو يمرر يده في شعره.

في الغرفة إلتقت بإسمهان و دخلتا في عناق، قالت:

كيف كانت العطلة؟

رحمة بتنهد: كانت حافلة!

إسمهان بفضول: ماذا حدث؟!

رحمة بضحك: أتت عائلتي و قضو معي أسبوعا أما الأسبوع الثاني قضيته عند عائلة أخرى و توشك على أن تصبح عائلتي.

شهقت إسمهان و قالت: هل خطبك إبنهم؟

ضحكت رحمة و قالت: لا! بل ستصبح عائلتي لأنني سأقيم عندهم من الآن فصاعدا و قد جئت اليوم لأودعك و آخذ أشيائي فقط.

غامت عينا إسمهان و حزنت بشدة، قالت:

و تتركينني؟! هل أهون عليك؟!

رحمة: آسفة يا عزيزتي، أنا مضطرة لذلك، فقد أصرت علي الخالة وردة كثيرا.

تنهدت إسمهان و نهضت تساعد رحمة في حزم أشياءها، حزينة النفس، كانت تكره الجلوس وحيدة أشد كره، على عكس رحمة التي لا تجد قلقا في ذلك، لم تكن إسمهان طالبة طب بل طالبة إقتصاد و لهذا فإنها لن تلتقي برحمة مجددا، خرجت رحمة بحقيبة كبيرة من الغرفة و ودعت إسمهان للمرة الأخيرة، كانت قد راسلت روميسة من قبل و أخبرتها أنها لن تأتي اليوم للإقامة بل غذا الأحد فلم تمر عليها في غرفتها.

في الخارج كان مجد ينتظرها بينما يتصفح الهاتف، ساعدها في وضع الحقيبة في المقعد الخلفي للسيارة ثم إنطلقا.

قال في الطريق: هل تحتاجين شيئا فأشتريه لك؟

قالت: لا، شكرا لك.

ترددت ثم سألت: متى سوف تعود إلى فرنسا؟

فقال و هو ينظر إليها: غذا.

أومأت له.

في الغذ، خرجت رحمة في الصباح الباكر مع وئام من البيت متجهتين إلى الجامعة حيث إستقلت وئام حافلة الجامعة المعتادة عليها و إستقلت رحمة قطار الترمواي.

في الكلية إلتقت بروميسة و نسمة فدخلوا في عناق و بدؤوا بثرثرة لا تنقطع، قالت رحمة بضحك: حدثت الكثير من الأمور معي في هذه العطلة.

فقالت نسمة بفضول: ما هي؟

كانت روميسة على علم بكل تحركات رحمة فهي تراسلها دائما أما نسمة فهي دائما منكبة على الدراسة و لا تفتح وسائل التواصل إلا ناذرا.

أجابت روميسة بدلا من رحمة بحماس: لقد إلتقت بمجد الجراح العبقري! ذاك الذي ظهر في نشرة الأخبار.

نسمة بتفاجئ: حقا!

رحمة بإنزعاج: أنت أيضا تعرفينه؟! يبدو أنني الوحيدة التي لم أكن أعرفه!

نسمة: إنه قدوة لكل الأطباء، عبقري حقيقي!

روميسة: لو كنت تشاهدين نشرة الأخبار لرأيته، لقد ظهر قبل أشهر.

نسمة بإهتمام: أخبريني كيف إلتقيت به.

سردت عليها رحمة كل شيء، فقالت روميسة بمشاغبة:

إذا أعطاك غرفته، هذا رومانسي جدا.

ضربتها رحمة في كتفها بخفة قائلتا:

كفي عن التخيلات.

ثم أردفت: لقد بدا لي مغرورا و فظا في بادئ الأمر.

ضحكت روميسة و قالت: و هذا ما يؤكد صحة الفرضية.

ضربتها رحمة على كتفها، فقالت نسمة:

ذكرتني ببكالوريا العلوم يا روميسة!

ضحكت ثلاثتهن ثم دخلن للمحاضرة.

و في المساء عندما عادت رحمة للبيت كان مجد قد غادر إلى فرنسا و كانت وردة تجهز لها غرفته بحب و عندما رأتها قالت:

إذهبي لترتاحي يا رحمة.

فعارضت قائلتا: دعي عنك هذا يا خالة، سأجهزها بنفسي.

كانت وردة حزينة بذهاب مجد و تتشاغل بأي شيء من أجل نسيان ذلك.

عندما دخلت رحمة لغرفة مجد و أغلقت الباب خلفها، إخترقت أنفها مباشرة رائحته الرجولية فإستنشقتها و ذهبت نحو سريره جلست عليه فداهمتها رائحته بشكل أقوى، إبتسمت بشرود.

ثم أفاقت على نفسها و حركت رأسها يمينا و شمالا بسرعة كعادتها عندما تريد نفض أفكار غير مرغوبة.

ثم نهضت و راحت تضع ملابسها في خزانته و أغراضها في أماكن محددة.

٩

عقار للعقم.

منذ عاد مجد لباريس و هو يفكر في ما قاله له أبوه يوميا، ما الذي قصده والده عندما أخبره بالقصة و قال له أنه قادر على إيجاد حل؟!

في المستشفى كان شارد الذهن معظم الوقت حتى سأله دانيال و هما يمشيان في الرواق و يمسكان بأكواب قهوة إبتاعاها منذ لحظات:

ما لي أراك شاردا؟! هذا ليس من عادتك، هل وقعت في الحب؟

نظر إليه مجد و إبتسم قائلا: لا!

دانيال بفضول: ما الأمر إذا؟!

مجد: لا شيء، لا تزعج نفسك بفضولك هذا.

إبتسم دانيال على تعليق مجد فهو يعلم أنه يعرف عن فضوله الشديد حيال كل شيء، إنهما صديقان منذ كانا في الجامعة و يعرف كل واحد منهما الآخر جيدا.

و في الليل سهر يفكر، صحيح أن لديه رحلة غذا في الصباح الباكر إلى غزة و لكنه لم يستطع النوم!

إتجه نحو مختبره، كانت به العديد من النباتات و الخلطات الكيماوية المعقدة، لقد قرأ مجد جميع كتب إبن بيطار و إبن سينا و غيرهم..

إرتدى مئزره الأبيض و راح يقلب في مواده بينما يفكر بعمق، إن طريقته في التفكير هي التفكير بينما يقوم بشيء آخر، يمشي أو يتفحص شيء ما...

و فجأة خطرت في رأسه فكرة، سبعون عاما؟ أليس متوسط عمر الإنسان؟

إذا كانت البشرية ستفنى بعد سبعين عاما و تصبح غبارا في الفضاء، أليس من الأفضل أن لا تكون موجودة أصلا؟

أليس من الأفضل أن يتوقف النسل الآن؟!

إذا توقف النسل لن يضطر الجيل القادم لمواجهة نهاية العالم بشجاعة!

إذا توقف النسل الآن سيكون عمر الأفراد الذين ولدوا اليوم سبعين عاما بحلول ذلك الوقت و سيموت معظمهم في ذلك العمر.

فكر مجد بهذا و لمعت عيناه،

و إذا يا مجد كيف يتوقف النسل بالضبط؟

قال يحدث نفسه بصوت عال.

ثم وضع يده على ذقنه و راح يفكر أكثر، هل نستأصل أرحام جميع النساء، هل نخصي جميع الذكور؟

هل نجبر النساء على شرب دواء منع الحمل طيلة حياتهن؟

لا يبدو أي من هذا فعالا!

لا بد من شيء أكثر فعالية و أيسر في الإستعمال و لكنه غير موجود و لا بد له أن يخترعه إذا.

لمعت عيناه بشدة و قد وجد ضالته، سيخترع عقارا للعقم!

هكذا قرر و بدأ التخطيط من أجل ذلك فورا لكي يعمل عليه بعد عودته من غزة.

و في ذلك الوقت كانت وردة ساهرة تصحح الواجبات المنزلية لتلاميذها في الإعدادية فقد أعطتهم قبل بدء العطلة واجبات من أجل حلها و سلموها لها الآن بعد دخولهم.

كانت ترتدي نظاراتها و تضيق عينيها بضيق كل دقيقة، كانت تستفزها كثيرا الأخطاء الإملائية و النحوية في التعبير الكتابي!

فهي مدرسة اللغة العربية، كانت رحمة تجلس إلى جوارها حيث تجلسان على طاولة الصالة الكبيرة التي يأكلون عليها عادة، كانت رحمة تمسك كتاب التشريح و تحفظ الأجزاء.

زفرت وردة بضيق فقالت رحمة: ما الأمر يا خالة؟

قالت وردة و هي تشير لورقة التلميذ،كان إسمه يزن و كان خطه جميلا : هذا المسكين يا بنيتي، كنت أوبخه لأنه لا يحل تمارينه و واجباته و لا يكتب دروسه فإتضح أنه مسكين و أعني ذلك'مسكين'

رحمة بشفقة: تقصدين أنه لم يجد قوت يومه؟! فالمسكين تعني من لم يجد قوت يومه.

وردة: بالضبط ، حالته صعبة جدا، تخيلي! لم تكن لديه كراريس ليكتب عليها، لا يكتب الدرس فلا يراجع فلا يحل التمارين!

سألته مرة عن سبب تخادله فأخبرني بحالته قائلا: إعذريني يا أستاذتي و لكننا لا نملك قوت يومنا ناهيك عن إقتناء الأدوات المدرسية.

كان لبقا و فصيحا، آه يا رحمة لو ترينه كيف يتكلم! أنا واثقة أنه يمكنه أن يصبح كاتبا عظيما في المستقبل!

رحمة بتأمل و حزن: فعلا، الحياة ليست نفسها بالنسبة للجميع.

وردة و هي تتنهد: صدقت يا بنيتي.

ثم أردفت: ماذا تقترحين أن أفعل معه يا رحمة؟ إنني أفكر في أمره منذ أيام! إنه تلميذ ذكي حقا و خسارة أن تذهب مهاراته سدى!

رحمة: أعينيه ماديا يا خالة و لك أجر ذلك إن شاء الله.

وردة: و هل سيقبل أهله؟

رحمة: حاولي، أخبريه أنك تريدين مساعدته على إنفراد و أن يخبر عائلته بذلك و إنتظري رده.

وردة بإبتسامة: حسنا، أعاننا الله على فعل الخير.

رحمة: ربما وضعه الله في طريقك ليكون طريقك إلى الجنة.

إبتسمت وردة و نظرت لرحمة بحب و لم تعقب، إنها حقا تتمناها زوجة لإبنها، فتاة مثلها خلوقة و جميلة و متعلمة، كما أنها إبنة صديقتها الحبيبة، لن تجد مثلها لإبنها.

أعطتها واجب التلميذ يزن بعد أن أنهت تصحيحه قائلتا:

إقرئيه، إنه جميل و مؤثر جدا.

أخدت رحمة الورقة منها و راحت تقرأ بتمعن، كان تعبيره جميلا و خاليا من الأخطاء و يتغلغل إلى القلب من الصعب التصديق أن فتى في الإعدادية من كتبه.

و في الغذ، ذهبت وردة للإعدادية و جاءت حصة تدريس قسم يزن كانت تتأمله من حين لآخر طوال الحصة حتى إذا ما إنتهت طلبت منه البقاء و باشرت الحديث معه فوافق على مساعدتها له.

أخرجت وردة مبلغا ماليا معتبرا من حقيبتها و قدمته له و أوصته أن يعطيها لوالدته ثم سألته إذا كانت تستطيع زيارتهم لاحقا فقال أنها تستطيع.

خرج يزن من عندها متهلل الأسارير، فرح النفس.

و لاحقا أخدها إلى منزل عائلته، كان بناءا أرضيا من الطوب هشا و مهترئا، ليس لديه باب و إنما إزار وردي متسخ في مكانه.

دخلت وردة مع يزن فقابلها في الباحة فتية صغار يلعبون بدمى متسخة ربما وجدوها في القمامة أو ما شابه، إنطلق يزن يتغلغل في الدار ثم حضر و أحضر معه أمه.

كانت إمرأة سمراء تضع ملاءة على رأسها و ترتدي ملاءة المطبخ على بطنها، طويلة و هزيلة. كانت ملاءة المطبخ مطلية بعجينة لينة.

رحبت بوردة بإبتسامات حارة قائلتا: مشكورة يا سيدة وردة على المساعدة، تفضلي رجاءا.

بادلتها وردة الإبتسامة و جلست على كرسي طويل أخضر اللون أمام الصغار و سرعان ما خرج صغيران آخران من الرواق فأصبح عددهم الآن بالإضافة ليزن سبعة صغار!

لطالما إستغربت وردة كيف أن النساء الفقيرات ينجبن العديد من الأطفال! و هي الآن مستغربة أكثر.

أخبرها زوجها مرة أن أولئك الناس الذين يفضلون إنجاب العديد من الصغار لا يملكون رأس المال البشري، لا مهارات و لا تعليم

و لا ثقافة، عادة ما يكونون أميين، فالمثقفون يفضلون إنجاب ثلاثة أطفال كحد أقصى و العمل على الإرتقاء بأطفالهم القليلين.

و كلما كانت الدولة تمتلك من رأس المال البشري، أي أفراد متعلمين كالو. م. أ التي تعد نسبة الأمية فيها قليلة جدا كلما كانت الدولة غنية و هذا ما تحدث عنه "بيكر" عالم الإقتصاد الحاصل على جائزة نوبل.

تحدث مالتوس عالم الإقتصاد من قبل متنبئا بمستقبل مظلم للبشرية حيث يستمر الإقتصاد بالإرتقاء و لكن تأكله أفواه جديدة و لكن حسب نظرية بيكر لرأس المال البشري فإن هذا لا يحدث بل ينجب أفراد الدولة ذات الإقتصاد العالي أطفالا قليلين و يستمر الإقتصاد بالإزدهار.

خمنت وردة أن هذه معضلة كبيرة! أن يستمر الفقراء بإنجاب الأطفال دون تفكير بكم سيعانون!

و خمنت أيضا أنه كلما كان عدد الأطفال أكبر قل الحنان و الإهتمام الموزع عليهم، بالنسبة إليها فقد حرصت دائما على الإعتناء بطفليها و تنشئتهم بدقة بالغة.

بدأت المرأة تثني عليها ثم ذهبت لتحضر مشروبا فإعترضت وردة قائلتا: لا، لن أطيل في الزيارة، لا تتعبي نفسك.

جلست المرأة بجوارها و بدأت تسرد قصتها، قالت:

كما ترين يا سيدتي، هذه هي حالنا، قبل قليل كنت أصنع "الديول" (الخاص بأكلة البوراك)، يبيعها يزن أو ألفة عادة.

نظرت وردة نحو ألفة، كانت طفلة في التاسعة من عمرها جميلة و جذابة، كانت تمسك بدمية مصنوعة من القماش و تركبها على سيارة و كأنها تأخدها إلى مكان ما.

سألتها وردة و قد توجست خيفة: إنها تدرس، صحيح؟

فأجابت و هي تحرك إصبعها بالنفي: لا، لا أملك تكاليف تدريسها، كما أنها فتاة و لا حاجة لها للدراسة.

تجهم وجه وردة و لم تعقب، أما زال هناك من يفكر بهذه الطريقة؟! نظرت للطفلة بشفقة فنعمة العلم لا تقدر بثمن.

ثم قالت: كيف تقولين هذا؟! إن العلم نور، ألم تكن السيدة عائشة رضي الله عنها من أعلم الناس؟!

صمتت المرأة بحياء و لم تعقب،

ثم أكملت المرأة الحديث عن نفسها مغيرة الموضوع: منذ أن توفي زوجي و أنا بحالة مزرية، كان بناءا يا سيدتي، بناءا....

سكتت تلتقط حروفها إذ صعدت غصة في حلقها: و قد وقع من أعلى عمارة، كان إرتفاعا شاهقا و مات بعدها، تاركا لي الصغار و خيبتي.

وضعت الآن المرأة يدها على فمها و ترقرقت في عينيها الدموع فوضعت وردة يدها على كتفها و قالت:

هوني عليك، الذي خلق لا يضيع.

إبتسمت لها المرأة و قالت: جزاك الله خيرا يا سيدتي.

نهضت بعدها وردة مغادرة نحو بيتها خمنت أن نسبة الفقر في الجزائر هي ٣٠ بالمئة و أنها ليست بالضئيلة أبدا، هناك جزائريون يعانون كل يوم بينما تنعم هي بعيشة رغدة، حمدت الله كثيرا و قررت أن تساعد المرأة من الآن فصاعدا.

و تذكرت مقولة الشاعرة الأمريكية إيميلي ديكنسون:

إن إستطعت تحسين حياة إنسان أو تخفيف ألم شخص أو إرشاد طائر إلى عشه فإن عمرك لم يذهب سدى.

●●●●●●●●

و في ذلك الوقت في غزة عند مجد، كان يداوي الجرحى من قصف بناية تتكون من عشر طوابق، ما إن يفرغ من واحد حتى يهرول إلى غيره و يمسح عرق جبينه أثناء ذلك.

كان ماهرا في علاج الإصابات الخطيرة جدا في وقت وجيز و كذلك إتخاد الإجراء المناسب في الوقت المناسب بسرعة إستيعاب قبل أن تسوء حالة المريض أو وفاته فكان وجوده مهما جدا و يحدث فارقا عظيما.

إلى جانبه على الزاوية كانت هناك دائرة متكونة من ثلاثة أطفال و أمهم يحيطون بأبيهم المتوفى، كانوا يجهشون بالبكاء بطريقة تقطع القلب، إتجه إليهم و نظر نحوهم بحزن، كانت كبرى الأطفال في التاسعة من عمرها و الصغرى في الثالثة لا تفهم تماما ما يحدث و لكنها تبكي لبكاء أمها و إخوتها.

لم يستطع مجد تتبع المنظر أكثر، إن وفاة مريض يؤلم الطبيب طبعا و لكن وفاته قبل أن يتمكن من مساعدته، قبل أن يحاول بث الحياة فيه أمر أسوأ بكثير.

عندما وصل مجد كان هذا الأب قد توفي فلم يستطع فعل شيء!

نزلت دمعة من عينيه ثم تبعتها دموع أخرى لم يستطع كبحها، نظر الأطفال نحوه فزاد بكاءهم لرؤية غريب يبكي عليهم و زاد بكاؤه هو أيضا، ثم لملم شتات نفسه و مسح دموعه بسرعة متجها للجرحى..

و عندما إنزوى لاحقا في مخيمه لأخذ قسط من الراحة، جاءته صورة رحمة فجائية في مخيلته، تذكر عندما أعادت جملته بشاعرية بالغة: إنها طريقة رائعة للموت.

إبتسم لتذكر عيناها الجميلتان، المميز في عيناها أن فيهما براءة و ذكاءا يشعان منهما و هو مزيج لم يره من قبل، وجد نفسه مشتاقا لها و لرؤيتها مجددا، لعينيها و إبتسامتها و حضورها الأنثوي العذب و إرتبك لهذا الشعور كثيرا فتشاغل بأي شيء يلهيه عن التفكير بالأمر.

طفلتي.

بعد مرور شهر من وجود مجد في غزة غادرها بقلب محطم كما دخلها، كان لا يكف عن الدعاء كل يوم من أجل فك المحنة، إن لديه الكثير من العمليات لإنجازها و هاتفه لا يكف عن الرن و لهذا كان عليه العودة.

عندما عاد إلى باريس و دخل منزله الذي بدا له غريبا عنه لأنه فارقه طويلا تخيل رحمة تأتي إليه من بعيد بسرعة متهللة الأسارير و تحتضنه عند مجيئه من العمل فيرفعها عاليا و يقبلها بحب.

تخيلها له و في بيته.

لقد أصبح متأكدا في الشهر الفائت من أنه يحبها فقد عذبه الشوق إليها و حفزه عقله على التفكير فيها فتوصل إلى أنه يحبها و هو غير معتاد على أن يكذب على نفسه، صدق شعوره مباشرة.

أصبح يفكر في ما إذا كانت ستقبل به أم لا؟ و كان يتخيل في كثير من الأحيان مثل الآن لحظات دافئة معها فهو قارئ روايات في نهاية المطاف و خياله محفز على الدوام.

لقد قرر أنه و لا بد عند عودته سيعترف لها بحبه و سيتقدم لخطبتها إن قبلت به و لكنه كان يتنهد كل ما واتته فكرة أنها قد ترفضه، هو لا يستطيع تحمل فكرة أنها قد تكون مع رجل آخر!

ماذا يفعل بهذا الشأن؟! إن الحب مصيبة لم يكن يريد الوقوع بها و لكن لا أحد يختار متى و من يقع في حبه.

في الصباح التالي لعودته راح يزاول عمله في إنهماك و هو يفكر في عقاره ثم كان يجلس مع دانيال إلى جانب المدفأة في الرواق.

فقال له: لقد وقعت في الحب يا دانيال.

كان دانيال يشرب الكابوتشينو عندما قال مجد ما قال فبصقه لا إراديا على نفسه فإتسخ مئزره الأبيض.

نظر إليه مجد ضاحكا فقال دانيال: ماذا؟! هل أنت جاد؟

مجد بجدية: نعم.

دانيال و هو يتجه نحو الحمام ليغسل ثيابه فتبعه مجد:

و من هي؟

مجد بإبتسامة: إنها طفلتي من الماضي.

دانيال بتعجب: طفلتك؟! بكم تصغرك؟

مجد: ثماني سنوات.

دانيال و هو يتنهد بإرتياح: فقط! كيف تكون طفلتك إذا؟

ثم أردف ببهجة: المهم، أنا سعيد من أجلك يا رجل و أخيرا فعلتها!

دخل دانيال الحمام في تلك اللحظة و راح يدعك مئزره بالماء، قال مجد من وراءه: لعقوبة ليك.

نظر إليه دانيال بإستغراب من وراء المرآة، فقال له مجد:

أقصد، أتمنى أن تقع في الحب أيضا قريبا.

إبتسم دانيال بحزن و لم يعقب، لقد توفيت زوجته كارين منذ سنتين إثر تسمم دموي و لم يستطع نسيانها أبدا منذ ذلك الوقت.

لاحظ مجد حزنه فقال له و هو يربت على كتفه: لا عليك.

ثم أردف لتغيير الجو قائلا: هيا، ستبدأ عملية كيس الكبد بعد قليل.

أومئ له دانيال و إتجها لتجهيز نفسيهما.

●●●●●●●

في الجزائر عند رحمة، فرحت و إرتاحت عندما سمعت أن مجد قد عاد سالما من غزة ، جلست على سريرها مبتسمة و راحت تقلب في ملخصه لتشريح الدماغ و القلب الذي وجدته في غرفته و الذي أفادها كثيرا في مادة التشريح، كان مكتوبا بطريقة مبسطة تدخل في الدماغ سريعا لم تعرف أن مجد يجيد رسم الأعضاء هكذا كان رسمه متقنا.

لقد صدقت وئام، إن مجد يمتلك يدان ماهرتان حقا!

قالت في نفسها.

كانت قد إشتاقت إليه في الشهر الفائت و فسرت ذلك مع نفسها على أنها إعتادت وجوده.

و كانت قد تأقلمت كثيرا مع عائلته، في تلك اللحظة دخلت عليها وئام قائلتا:

رحمة هل لي بإستعارة حاسوبك فخاصتي نفد شحنه و إنطفئ.

رحمة: بالطبع.

أخدته وئام منها ثم جلست على سريرها و قالت:

مذكرة التخرج ستجنني، أتمنى أن أبقى بصحتي العقلية بعد التخرج من هذه المدرسة!

رحمة بإبتسامة: هوني عليك، كلها شهور و تتخرجين إن شاء الله.

وئام: إن شاء الله.

و في ذلك الوقت رن جرس الباب فنهضت رحمة لتفتحه بعد أن إرتدت حجابها، كان يزن هو من أتى.

إبتسم لها و قال: هل أستاذة وردة موجودة؟

أومأت له بإبتسامة و قالت: نعم موجودة سأناديها لك.

و هرولت رحمة نحو غرفة وردة، كانت الأخيرة تحضر دروس الغد التي ستلقيها على التلاميذ و تصحح فروضهم.

عندما أعلمتها رحمة بحضور يزن إبتسمت و ذهبت لإستقباله في الصالة، كان الأخير يحمل بين يديه أوراقا، هي لروايته التي حثته وردة على كتابتها و كانت تصححها له و تعطيه آراءها فيها.

جلسا على الكنبة و راحت تقرأ ما كتب ثم إبتسمت و قالت:

أحسنت يا يزن، أنت كالعادة تبلي حسنا.

إبتسم يزن و قال: شكرا.

وردة: هل أنـهيت الكتاب الذي أعرته لك؟

يزن: نـعم.

وردة: إذن سأعطيك واحدا آخر.

إبتسم يزن و أومئ لـها فذهبت إلى مكتبتـها الأدبية و أحضرت لـه كتاب "العمى" لجوزيه ساراماغو.

كانت تعمد لإعطاءه كتبا صعبة بالرغم من أنـه في الثانية عشر من أجل تطوير فـهمه و أسلوبه الكتابي.

و كان قد إعتاد المجيء إليهم منذ أسبوعين.

●●●●●●●●●

عند مجد، كان الوقت ليلا و كان مجد في مختبره يلبس نظاراته الواقية و مئزره الأبيض و قفازيه يخلط موادا غريبة فتحدث تفاعلات أغرب، نظر بتمعن للفوران الذي خرج من المحلول الأزرق ثم زفر ونزع النظارة و إتكأ بيديه على الطاولة الزجاجية الكبيرة.

كان قد بدأ محاولاته في صنع العقار من اليوم و عزم على صنعه مـهما حدث فمجد لا يفعل أشياءا لا يستطيع إكمالـها.

ثم حانت لـه فكرة أزعجته: إذا إخترع عقار العقم، لن يكون لـه طفل من رحمة إذا تزوجا.

نفض هذه الفكرة العشوائية من دماغه و راح يكمل عمله بـهمة.

١١

إعتراف.

بعد أشهر.

كانت رحمة تخرج من آخر إمتحان لها من الكلية بسعادة رفقة صديقتيها، زفرت ثلاثتهن بإرتياح.

قالت نسمة: الحمد لله، لقد أنهينا أخيرا!

روميسة بضحك: تستطيعين الآن التنفس قليلا يا نسمة فأنت دائما تدرسين.

ضحكت رحمة لتعليقها و بينما هن كذلك، رأت مجدا من بعيد كان يتكأ على سيارته بإنتظارها.

صدمت و فرحت كثيرا، لقد إشتاقت إليه حقا، لم يكن قد رآها بعد إذ كان يحدق بالإتجاه الآخر عاقدا يديه أمام صدره إذ كان ينتظر خروجها لوقت طويل و لم تخرج.

قالت و هي تنظر لروميسة و نسمة: سأذهب مجد هنا.

روميسة: أين؟

رحمة: هناك.

أشارت إلى حيث هو فنظرت كلتاهما نحوه.

روميسة بحماس: إنه طويل و جذاب الملامح.

نسمة: نعم، شعره رائع.

إنزعجت رحمة إنزعاجا طفيفا لم تعرف سببه و قالت:

هل تتغزلان به؟!

فقالت الإثنتان معا بضحك: لا!

إحتضنتهما و ودعتهما ثم إتجهت نحوه، عندما مشت بإتجاهه نظر نحوها و رآها فخفق قلبه بعنف لرؤيتها مجددا و إبتسمت ملامحه، تمنى لو أنه يستطيع إحتضانها بين ذراعيه.

عندما وصلت إليه قالت: مرحبا يا مجد، مر وقت طويل!

مجد بإبتسامة: صحيح و قد إشتقت إليك.

إحمرت رحمة و قالت: و أنا أيضا.

تهللت أساريره لمعرفة أنها إشتاقت إليه أيضا.

فتح لها الباب فدخلت ثم دخل هو، قالت: كيف أتيت فجأة؟

مجد: أردت أن أقلك للمنزل في آخر يوم لك.

رحمة: متى عدت؟

مجد: صباح اليوم.

أومأت له رحمة بإبتسامة ثم رأت لوح شوكولاطة كبيرا إلى جوار مقعدها، رآها تنظر إليه فقال: لقد إشترتيته من أجلك.

رحمة بسعادة: حقا؟!

مجد: نعم. ألا تزالين تحبين الشوكولاطة؟

رحمة: أحبها كثيرا و لكن ماذا تقصد بمازلت؟

إبتسم مجد و لم يعقب فأخذت رحمة اللوح و خبأته عندها.

ثم أخرجت ورقة الأجوبة لإمتحان التشريح وراحت تقرأها، ضربت جبينها بخفة، فقال لها بينما يوزع نظراته بينها و بين الطريق : ما بك؟

رحمة: نسيت كراس التشريح، كيف سأتأكد من الإجابات!

قال: أعطني الورقة و سأرى.

أعطته الورقة فراح يدقق بالرسم و بإجاباتها ثم إبتسم قائلا:

إنها صحيحة.

رحمة بإرتياح: الحمد لله.

مجد: سأساعدك لتكوني طبيبة ممتازة.

نظرت نحوه بإمتنان و قالت: يسعدني أن أكون متدربة عند الدكتور مجد.

كان ليبتسم بغرور في العادة و لكنه هذه المرة إبتسم بتواضع لإطراء حبيبته.

أخدها لبيتها إذ عاد والداها البارحة إلى الجزائر و قد إنتقلت للعيش في بيتها مجددا.

قبل أن تخرج قالت: شكرا يا مجد.

قال بإبتسامة: أتطلع لحضورك إلى حفل تخرج وئام، أريد أن أخبرك بشيء.

فردت بفضول: أخبرني الآن!

مجد: لا.

إزداد فضول رحمة أكثر، قالت و هي تخرج: حسنا.

حدق مجد في أثرها بحب ثم إتجه نحو بيتهم، عندما دخل غرفته في الصباح و وجدها خالية منها إلا من رائحتها الجميلة التي تعم الأجواء جلس يستنشقها بنهم، أمسك وسادتها و أخد يشمها بإدمان.

في منزلهم كانت الإستعدادات على أشدها فحفلة تخرج وئام غذا و ستقام في حديقة منزلهم القديم' ببئر مراد رئيس' و هو منزل أرضي.

عندما دخل مجد أعطته وردة قائمة طويلة لشراء مستلزمات الحفل، قالت: أعرف أنك متعب يا بني و لكننا نحتاجهم.

أومئ لها مجد و قال: لا بأس.

خرج مجددا و قرر أنه سيذهب للقاء دانيال لاحقا فقد جاء الأخير إلى الجزائر من أجل زيارة سياحية و حضور حفل تخرج وئام كذلك، لم يكن دانيال يجيد العربية و كان يجد صعوبة في التعامل

هنا. كان مجد قد ساعده لإستئجار غرفة في فندق جيد بالعاصمة.

•••••••

غذا مساءا،

بدا مجد جذابا جدا ببدلته الرسمية البيضاء، كان يرفع شعره الناعم للأعلى بتسريحة أنيقة و يبتسم للمدعوين فتظهر أسنانه البيضاء متجانسة مع ثوبه الأبيض، فكانت تفاصيله اليوم جذابة.

يرتدي قميصا أبيضا يفتح زره الأول عند الصدر بأناقة و فوقه الجاكيت الأبيض أما سروال البدلة فكان أسودا.

و كانت رحمة ترتدي ملابس عادية لم تبدلها بعد إلى فستانها الذي تصادف أنه أبيض أيضا مثل اللون الذي إختاره مجد!

كانت قد ساعدت وردة في تجهيز الحديقة بالطاولات و الزينة فلم تتسنى لها الفرصة لتبديل ثيابها.

كانت تسترق نظرات من حين لآخر إلى مجد فقد خفق قلبها لرؤيته هذا المساء بهاته الهيئة و كان هو الآخر يسترق النظرات إليها ثم في لحظة ما إلتقت عيناهما بينما كان كلاهما يريد إستراق النظر للآخر. كان موقفا جميلا جدا فلا شيء أجمل من أن تبتغي النظر إلى شخص فتجده ينظر إليك. و كان مربكا أيضا،

إبتسمت له رحمة أولا فإبتسم بإتساع، إتجهت نحوه و وقفت أمامه كان يتابع كل تحركاتها بتمعن، قالت: لقد أخبرتني أنك ستقول لي شيئا اليوم.

إبتسم و قال: أعلم.

منذ البارحة شغلها الموضوع كثيرا، فكرت مع نفسها ما هو هذا الشيء الذي يأجله لإخبارها به؟!

عندما رأته البارحة و أقلها للمنزل، شعرت بسعادة عارمة قدرت أن السيروتونين قد إكتسح كل خلية من جسدها و عندما أوت إلى غرفتها فكرت طويلا في ذلك، ألهذه الدرجة تسعد بوجوده؟! من يكون بالنسبة لها!

فكرت طوال الليل بالأمر و كانت كلما إستحضرت صورته في مخيلتها إضطربت خفقاتها فتوصلت إلى أنها تحبه.

كانت سعيدة بهذه النتيجة، أن تحبه حبا عذريا جميلا، أن يزهر قلبها بهذا الحب، صلت ليلة البارحة طويلا و أطالت في السجود تدعو الله أن يجمعها به أو أن يخرجه من قلبها إذا لم يكن لها.

هي لم تعلم أن شعور الحب جميل هكذا من قبل، إنه دغدغة في الروح عذبة.

بينما كانا ينظران لبعضهما بتوهان العشاق حضر دانيال بينهما عندما رأى صديقه يناظر هاته الآنسة هكذا عرف أنها طفلته التي تحدث عنها نظر إليها ثم قال بلباقة: مرحبا يا آنسة، أنا دانيال سعدت بلقاءك.

إبتسمت رحمة له و قالت: و أنا رحمة، سررت بلقاءك أيضا يا دانيال، مرحبا بك في الجزائر.

إبتسم دانيال بإتساع و قال قاصدا إغاضة مجد: أنت جميلة حقا يا آنسة رحمة.

إبتسمت رحمة لإطراءه و قالت: شكرا، بينما حدجه مجد بنظرات نارية فنظر إليه دانيال بمتعة و ضحك داخليا منه.

و في تلك اللحظة نادت وردة رحمة و كانت تضع أطباق الحلويات على الطاولات تطعم الضيوف بإخلاص فإتجهت رحمة نحوها مستأذنة منهما و ما إن غادرت حتى ضرب مجد دانيال بقبضة في ذراعه بخفة.

فتصنع دانيال الألم و قال: اوه، ما بك يا رجل؟! لقد قلت الحقيقة فقط.

مجد: إحتفظ بها لنفسك.

لم يكن الضيوف كثر، فقط جيران العائلة و بعض الأقارب و الأصدقاء، كان المنزل خشبيا أنيقا و كانت حديقة المنزل جميلة و فسيحة بها أزهار اللانتانا كمارا ذات الرائحة النفادة و الإطلالة البهية التي تجمع بين البرتقالي و الأحمر و عشبها أخضر جميل مقلم جيدا، إنتشرت فيها طاولات بيضاء عدة بكراسيها يجلس فيها الضيوف و يتناولون الكعك و الحلويات التي أعدتها وردة بحب كالبقلاوة و المقرود و الكروكي.. بينما يشربون القهوة أو الشاي أو العصير.

و كانت الشمس على وشك الغروب، إنتشرت أيضا عدة بالونات باللونين الأبيض و الوردي في أنحاء الحديقة، كانت وردة تدور على الطاولات تراقب ما يحتاجونه بإهتمام ثم تدخل مجددا للبيت بمشيتها السريعة و الخفيفة التي ورثها عنها مجد تحضر الطعام و تضيف المدعويين فهي تحب دائما القيام بأعمالها على أكمل وجه.

عندما نادت وردة رحمة كان ذلك لأن وئام تحتاجها في شيء فدخلت الأخيرة بسرعة، كانت وئام في غرفتها السابقة تضرب الأرض الخشبية للدار في تذمر و هي راكعة على قدميها و تنظر تحت السرير و كأنها تبحث عن شيء ما.

قالت رحمة بإستغراب: ما الأمر يا وئام؟

وئام: لقد أضعت قرطي، ماذا أفعل؟ إنه ذكرى غالية من جدتي!

رحمة: أين سيذهب؟ إنه في الغرفة فقط، ستجدينه قريبا.

وئام: ماذا لو كنت قد أضعته في الحديقة سابقا عندما خرجت؟!

رحمة: لا أظن ذلك، إبحثي جيدا و ستجدينه.

وثبت وئام و قالت و هي تبعد غرتها عن وجهها: أما الآن، سأرتدي حجابي و أخرج للحفل فقد ضاقت أمي ذرعا بجلوسي هنا.

رحمة بإبتسامة: نعم، سأساعدك.

لبست وئام حجابا بنفسجيا و فستانا فضفاضا بنفسجيا أيضا و وضعت ظلال جفون بنفسجيا مع أحمر شفاه وردي خافت فبدت بغاية الجمال و الجاذبية.

سألتها وئام بإبتسامة الواثق:كيف أبدوا يا رحمة؟

رحمة و هي تناظر وئام عبر المرآة: تبدين جميلة جدا، لو كنت رجلا لتزوجتك.

ضحكت الفتاتان بخفة، ثم خرجتا من الغرفة متجهتان نحو الفناء و لكن وئام توقفت في الرواق و قالت و هي تناظر هيئة رحمة: ماذا عنك يا رحمة؟! متى ستبدلين ثيابك؟

رحمة بإنزعاج من نفسها: في الواقع، لقد نسيت إحضار فستاني.

مطت وئام شفتيها بحزن ثم قالت: و ماذا الآن؟

رحمة: لا بأس سأبقى هكذا.

وئام معترضة: لا! ستلبسين و تتزوقين في حفلة تخرجي يا رحمة و إلا سأغضب منك!

ثم قالت و قد تهللت أساريرها: سأطلب من مجد أن يوصلك للبيت، لتحضري الفستان.

أومأت لها رحمة و إتجهتا نحو الفناء، في الخارج إتجهت جميع العيون نحو صاحبة الحفل و كانوا منبهرين بجمالها و أكثرهم على الإطلاق كان دانيال، عندما رآها تقترب منه شيئا فشيئا بمشيتها الرشيقة و إبتسامتها الرائعة خفق قلبه داخل أضلعه

بقوة و تلبكت أحشاءه و لمعت عيناه الخضراوتان ببريق خاص، حتى لم يعد يعلم ماذا يحدث له؟!

وصلت إليهم و تحدثت بكلمات بالعربية إلى مجد لم يفهمها و لكنه ركز مع كل حركة من شفتيها بتمعن، قالت:

أوصل رحمة يا مجد، لقد نست فستانها بالبيت.

أومئ مجد من فوره و إبتسم لرحمة الواقفة إلى جانب وئام هو لا يصدق متى يجد الفرصة للبقاء معها و ها قد جاءته.

مجد: هل نذهب الآن؟

رحمة: لا، سأجلس قليلا ثم نذهب.

إتجهت الفتاتان نحو طاولة في الزاوية و جلستا تتحدثان بإبتسامات واسعة.

قال دانيال و هو لا يزيل نظره عن وئام: إسمع، يبدو أنني وقعت في حب أختك!

نظر إليه مجد في تعجب و قد تبين من أنه لا يمزح و لا يسعى إلى مقلب فقال بجدية : أحبها كما تريد و لكن إعلم أنك لا تستطيع الإرتباط بها إلا إذا دخلت الإسلام.

حول دانيال نظره إليه في دهشة قائلا: حقا! و لما؟

مجد: نحن المسلمين لا نرتبط بغير المسلمين.

حدق فيه دانيال بتمعن و قال: هكذا إذن!

كان دانيال فرنسيا تماما و مسيحيا عاديا ليس بالمتدين و لا بالمنحل.

حول نظره عن وئام تماما و قرر تناسي الأمر، هذه العاطفة التي فاجئته و هذا الحوار مع مجد.

نظر مجد نحوه يقرأ إنفعالاته و رأى أنه يشيح بنظره عن وئام.

كانت صفاء في المطبخ تساعد وردة في إعداد وليمة العشاء و هما لا تكفان عن الثرثرة، ثم خرجت صفاء للفناء بحثا عن إبنتها، كانت ترتدي فستانا أزرقا عريضا و تصفف شعرها بعناية، قالت و هي تتجه نحو طاولتها: رحمة! متى ستجهزين نفسك؟!

رحمة: لا تقلقي يا أمي، سأذهب أنا و مجد لنحضر الفستان.

صفاء و هي تضرب جبينها: و هل نسيت الفستان!!يا لك من مستهترة.

كانت تهتم كثيرا لأناقة إبنتها و تشتمها إذا أخطأت أو نست كعادة الأم الجزائرية، نهضت رحمة تلافيا لغضب أمها و إتجهت نحو مجد تطلب منه أن يقلها.

بينما إلتفت صديقات وئام حولها يهنئنها و يمنحنها الهدايا.

في السيارة، كان مجد مضطربا أشد الإضطراب، لقد أخبر رحمة أنه يريد إخبارها بشيء و ها هو عاجز عن قوله، عاجز عن الإعتراف لها بحبه، لم يجد أبدا الفرصة المناسبة لذلك.

كانت هي أيضا شاردة الذهن تفكر في حالة قلبها كيف ستصبح و هو ملك لمجد؟! هل سيكون بأمان؟

و مازال الفضول يأكلها لتعرف ما الذي يريد أن يخبرها مجد به، فلطالما كانت فضولية دائما، إنها تشك في أنه سيعترف لها بحبه، و مجرد التفكير في ذلك يحدث دغدغة في قلبها، لقد شكت في ذلك خاصة بعدما رأت إرتباكه عندما سألته قبل قليل في الحفلة عن الأمر.

عندما وصلا إلي بيتها خرجت رحمة و طلبت منه إنتظارها، صعدت لبيتهم و إتجهت نحو خزانتها بسرعة لكي لا يفوتها الحفل سرعتها تلك جعلتها تتعثر في طرف السجادة فتسقط أرضا مع إنثناء السجادة و تمسك بالخزانة بقوة فتسقط العلبة الزجاجية لسلسلتها الذهبية من أعلى الخزانة و التي كانت على الحافة، فتسقط متكسرة على قدمها اليسرى، فتصرخ بألم و تنتشر دماؤها على الأرض.

تألمت بشدة و طفقت ترى عمق جرحها، كانت قدمها قد إنسلخت بشكل خط عمودي طويل و كان جرحها عميقا! يحتاج لخياطة!

حاولت النهوض بألم و لكنها وقعت مكانها بألم عندما إتكأت بيدها على شظية زجاجة صغيرة فأنت بعلو مجددا لدخول الشظية في كفها، نزعتها و جلست تناظر الأرض لتتجنب المشي فوق الشظايا.

و في ذلك الوقت كان مجد ينتظرها و قد لاحظ أنها تأخرت و توجس خيفة من أن شيئا ما قد أصابها.

فقرر أن يصعد إليها ليرى ما بها، و عندما صعد وجد الباب مفتوحا فهي لم تغلقه بالمفتاح إذ تعلم أنها ستدخل و تخرج بسرعة، دخل يتفقدها،

كانت رحمة تجلس متألمة و تأن عندما دخل عليها مجد ليجدها في تلك الحالة إنطلق إليها في هلع و قال:

رحمة! ماذا حدث؟!

رحمة بحزن: لقد تهشمت العلبة الزجاجية على قدمي اليسرى، لا أستطيع الوقوف يا مجد، أنا أتألم بشدة.

ألمه قلبه جدا عليها إتجه نحوها،

حملها و أخدها للصالة ثم وضعها فوق الكنبة كانت تتألم بشدة، قال : لا تقلقي، ستكونين بخير، سأحضر حقيبتي و آتي.

أومأت له، فذهب ثم عاد بسرعة حاملا حقيبته الطبية، رفع سروالها ليكشف عن ساقها المدماة ثم أعطاها حقنة مخدرة، مسح عليها بالمحلول المطهر ثم أخد الإبرة و تجهز ليخيط الجرح نظر إليها بحب يشجعها فأومأت له بإبتسامة متعبة، أخد يخيط جرحها و لما فرغ وضع فوقه الضمادة الطبية.

إبتسم لها و قال: ها قد أنهينا.

إبتسمت تناظره بتمعن و هو أيضا راح يناظرها بتمعن و بقيا على ذلك الحال لوقت لم يعرفا كم هو؟

ثم نظر مجد لكفيه المدماة فواتته فكرة، أمسك كف رحمة إذ طرحها و هي تناظره مستغربة، سحب من دمائها المنسكبة على

الأرض بإصبعه و راح يكتب على كفها: ألف ثم حاء ثم باء ثم الكاف.

كتب كلمة أحبك على كفها، كانت تقرأ كل حرف يكتبه و عيناها تلمعان بسعادة حتى فرغ من كتابة جملته و نظر إليها بحب و قال:

أحبك يا رحمة.

تلعثمت خفقاتها و إنعقد لسانها و أمام صمتها، قال: هل تتزوجيني؟

وضعت كفها الأخرى على فمها و أومأت برأسها بقوة و عيناها تفيضان بالمشاعر.

شعر أنه يملك العالم بإجابتها الشافية هذه، فإنحنى يقبل كفها المكتوب عليها كلمة أحبك بدماءها، فإرتعشت بخفوت لذلك.

ثم نظر إليها مبتسما و وضع يدها على قلبه ليريها كيف أنه يخفق بعنف لموافقتها.

كان إعترافا مميزا و دمويا يليق بطبيب!

فكر مجد في تلك اللحظة،

لم أكن رافضا لفكرة الزواج إلا لأن هناك طفلة أخدت قلبي منذ مراهقتي و أبت إعادته إلي. نعم، لا بد من أنني أحببت رحمة منذ زمن طويل! و ها قد أكرمني الله بها.

قالت رحمة بإبتسامة و هي تشعر بدقات قلبه الجنونية على كفها:

أنا أيضا أحبك يا مجد.

فرح أكثر، لم يكن يطمع بحبها، كل ما طمع به أن تقبل به و تدعه يحبها و يريها ذلك، كانت سعادته عظيمة جدا.

إبتسم الإثنان بإتساع و هما يناظران بعضهما البعض بلوعة ثم ضحكا بصخب و سعادة.

قال مجد و هو يضغط على كفها: رحمة خاصتي، طفلتي.

إستاءت رحمة من كلمته الأخيرة و قالت: لست طفلتك!

فضحك من إستياءها الطفولي و قال: بل طفلتي الجميلة.

ثم بينما هي جالسة بمكانها قام مجد بتنظيف غرفتها من الزجاج بهمة كما مسح الدم من الأرضية، ثم ساعدها على الوقوف إذ تأبطت ذراعه و خرجوا متجهين للسيارة.

في الطريق إشترى لها الدواء من الصيدلية، مضاد حيوي و مسكن لمنع إلتهاب الجرح ثم حثها على تناوله. و لم يرتح إلا بعد أن إطمئن عليها جيدا.

لم يتوقف عن إستراق النظر إليها طوال الطريق فكانت تبتسم له كلما نظر إليها بعذوبة، قال بتوهان : آه كم أتمنى لو أستطيع تقبيل شفتيك التي تبتسمين بها هذه الإبتسامة الجميلة!

نظرت إليه رحمة بحياء و صدمة من صراحته و لم تعقب، فقال:

و خجلك هذا يزيدني رغبة في ذلك.

إبتسمت مجددا بخفوت و هي تنظر من زجاج النافذة إلى الطريق المظلم فقد غربت الشمس.

عندما وصلوا كانت الأضواء الجميلة ذات اللونين الأبيض و الأزرق تعم المكان فبدت الحديقة ساحرة حقا.

كان صوت الأحاديث يصل إلى الخارج بعدة أمتار، كانت صفاء قلقة جدا على إبنتها و قد هاتفتها عدة مرات عندما كانت في السيارة فأجابتها رحمة و قالت أنهم على وصول كما أخبرتها بأمر جرحها و خياطة مجد لها.

عندما رأتها تهللت أساريرها و إتجهت نحوها و هي تتفحصها قائلتا:

أخيرا عدت يا رحمة.

ثم نظرت نحو مجد قائلتا: شكرا يا مجد.

إبتسم لها مجد، كانت صفاء دائما هكذا تخاف كثيرا على رحمة.

عندما جاء جاسر من بعيد و هو يحمل المذياع الكبير يثبته في مكانه على أطراف الحديقة كالأخران اللذان وضعهما قبله و رآه مجد، إتجه الأخير نحوه، حياه ثم قال من دون مقدمات:

زوجني رحمة يا عم جاسر.

ترك جاسر ما بيده و هو يطالع مجد بصدمة ممزوجة بالبهجة فهو لطالما أحب مجد و إحترمه كثيرا و سيكون بغاية السرور بمنحه إبنته. نظر في عينيه يستشعر صدقه و جديته، ثم إبتسم و وضع يده على كتفه اليسرى قائلا:

لك ذلك يا مجد.

فرح مجد كثيرا و نظر نحو جاسر بإمتنان.

كانت رحمة تطالعهم من بعيد بينما تحدثها أمها و هي ساهية فيهما تتساؤل ما الذي يقولانه!

ضربتها صفاء بخفة في ذراعها و قالت: أين ذهبتي؟! إذهبي و بدلي ثيابك.

أومأت لها رحمة و ذهبت للداخل و هي تعرج قليلا في مشيتها،

في الحديقة شغل جاسر الموسيقى التي تحتفي بالنجاح و التخرج بصوت متوسط ثم جلس مع مجد يتفاهمان حول الخطبة و التفاصيل بجدية.

عندما أخبره مجد عن رغبته في الزواج بها بعد شهرين أو أقل ذهل جاسر و لكن مجد قال بموضوعية:

إنها تبقى بالإقامة عادة أو عندنا أي بعيدة عنكم على أية حال، فمن الأفضل أن نتزوج و تكمل دراستها عندي و سأتخلى عن عملي في سانت لويس من أجلها و أنتقل للعيش في الجزائر.

وافقه جاسر بحزن فما قاله منطقي، لقد قصر كثيرا في حق إبنته ببعدها عنهم، من الأفضل أن يأتمن مجد عليها.

و قد شعر بالحرج من أن مجد مستعد للتخلي عن عمله في فرنسا بالرغم من أنه ناجح فيه بتفوق من أجل رحمة بينما هو و والدتها تركاها وحدها من أجل العمل في الناسا.

فإزداد يقينا من أن مجد يحبها و من أنه الأنسب لإبنته.

و كما خمن مجد وافق جاسر على طلبه و قال:

و لكن إن لم توافق رحمة على الزواج بهذه السرعة فإنني لن أجبرها، ربما تحتاج لبعض الوقت.

أومئ له مجد و هو يفكر كيف سيخبر رحمة بالأمر و يقنعها إذا لم توافق. و في ذلك الوقت خرجت رحمة بفستانها الأبيض الفضفاض ذو الزخرفة البسيطة الجذابة، تضع حجابا أبيض من الساتان و مكياجا خفيفا فبدت بغاية الجمال ما جذب مجد جدا، تخيلها عروسه بفستانها الأبيض الجميل و الحجاب يزين رأسها مثل الآن.

إتجهت رحمة مع وئام إلى أقرب طاولة و جلستا للعشاء الوفير، قالت وئام بمرح و هي متحمسة للأكل كعادتها، تقول لها أمها "تعرفي غير تاكلي نتي" إذ لا تساعد في العمل و لكنها تقبل على الطعام بنهم:

كنت أنتظرك يا رحمة لنتعشى سويا.

في الزاوية كان دانيال يجلس و يأكل طعامه و هو ينظر لوئام، لقد أعجبه جدا الأكل الجزائري!(الشخشوخة و الرشتة و الطاجين) و وجدها تجربة جيدة، كانت وردة تعتني به أيما إعتناء و تحثه على الأكل كونه صديق إبنها المقرب منذ إثنتا عشر عاما.

عندما رأى وئام تأكل بعفوية و تضحك وقع في حبها أكثر، كل تفصيلة منها تعجبه، لقد إعتاد على رؤية الفتيات اللاتي يدعين الأنوثة بإدعاء رفض الطعام فيأكلن كالعصافير لقيمات صغيرة

بتظاهر زائف جاهلات أن الأنوثة أعمق بكثير من هاته التصرفات و التفاصيل التافهة.

إن الرجل من الأساس يحب المرأة العفوية، فهو يشعر معها بالراحة. هكذا خمن،

كان يجلس إلى جانب رحيم في الطاولة و كان قد أخد معه في الحديث عن عدة مواضيع موسوعية يجيدها رحيم، إن أي شخص يجلس معه يتشرب ثقافته و يستمتع بالحديث إليه دون ملل لإلمامه بكل العلوم و كانا يتحدثان منذ قليل عن الدين فقد أثار حديث مجد عن الإسلام فضول دانيال ليعرف عنه أكثر مادام المفتاح للوصول إلى حبيبته التي يعشقها في الدقيقة مئة مرة!

قال دانيال بإبتسامة واسعة: الآن فقط عرفت ممن ورث مجد ذكاءه!

قال رحيم بتواضع: إن ذكاء مجد في الطب لا يعادل ذكاءاتي في المجالات كلها مجتمعة، أنا فقط أعرف القليل من كل شيء.

فإبتسم دانيال و قال مستكملا الحديث عن الموضوع الذي كانا يتحدثان فيه بفضول:

إذا أخبرتني أن الإنجيل يحتوي العديد من التناقضات!

رحيم بثقة: نعم.

دانيال: ماهي؟

رحيم: لنبدأ بالأخطاء الحسابية، إليك هذا المثال: ورد في أخبار الأيام الثاني 9/36 (كان يهوياكين إبن ثماني سنين عندما ملك، و ملك ثلاثة أشهر و عشرة أيام في أورشليم).

و في الملوك الثاني 8/24 (كان يهوياكين إبن ثمانية عشرة سنة حين ملك و ملك ثلاثة أشهر في أورشليم).

ما هذا التناقض؟! هل كان عمره ثماني سنوات أم ثمانية عشر و هل ملك ثلاثة أشهر أم ثلاثة أشهر و عشرة أيام؟!!

و هي كثيرة جدا الأخطاء الحسابية يا دانيال و هذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

بينما كتابنا المبين لا ريب فيه، قال تعالى:(و لبثوا في كهفهم ثلاثة مائة سنين و إزدادو تسعا).

و المقصود هنا هو السنة القمرية حيث تزيد عن الشمسية بتسعة أيام، قبل ١٤٠٠ سنة أقر القرآن بهذا بدقة!

كذلك في الأحرف الأولى من بعض السور كسورة الكهف،"ألم"

تعني أن عدد الأحرف (الألف و اللام و الميم) أكبر من عدد جميع الأحرف الأخرى المذكورة بالسورة.

أليس هذا دقيقا جدا و إعجازيا؟!!

السبب هو أن القرآن لم يتعرض للتحريف، هل يستطيع بشر عادي أن يكتب نصا و يغلب فيه ثلاثة حروف على باقي الأحرف؟! بالطبع لا!

أنظر بنفسك يا دانيال دقة حساب القرآن و مغلوطات حساب الإنجيل.

لم ينبس دانيال ببنت شفة فهو لم يملك أن يعارض ما يقوله رحيم، لأنه محق تماما، راح يفكر بتمعن بما قاله.

١٢

مجد و رحمة.

عندما سمعت رحمة من والدها أن مجدا يريدها أن تكون زوجته بعد شهرين فقط ذهلت و توترت، كان ذلك اليوم هو السابع عشر من جويلية و قد فطنت إلا أن عمرها الآن ثلاثة و عشرون عاما و أربعة أشهر إذ كان عيد ميلادها الثالث و العشرون في السابع عشر من مارس. و هذا يعني أن عمرها سيكون ثلاثة و عشرين و نصف عندما تتزوج مجد.

لم تتخيل من قبل أنها قد تتزوج في الثالثة و العشرين، لقد ظنت أنهما سيظلان مخطوبان لعام على الأقل.

كان من المقرر أن تكون الرؤية الشرعية اليوم، كانت قد قررت أن تعرب اليوم عن رغبتها في إطالة فترة الخطبة أكثر فقد تحفظت من قبل عن هذا و لم تقل شيئا.

كانت أمها تجهزها بحب و هي في غاية السعادة لأن إبنتها ستتزوج مجدا فهي تثق به و تراه رجلا جديرا.

لبست رحمة فستانا وردي اللون من درجة السلموني من الدانتيل يلتف على جسدها بنعومة و ليس به أي زخارف مع حجاب أبيض.

و إرتدت حذاءا بكعب عالي أبيض اللون و زينت وجهها بمكياج أنيق حرصت روميسة على وضعه لها بدقة و قد إستعانت بها رحمة كونها الأفضل في وضع المكياج.

كانت تضع لها أحمر الشفاه عندما قالت بمرح: يجب أن تصدقي بفرضياتي من الآن فصاعدا.

فضحكت رحمة مما جعل روميسة تسحب فرشاة المكياج لكي لا تلطخ وجهها.

كانت نسمة تجلس على سرير رحمة و تقلب في الهاتف أما صفاء فقد خرجت بعد أن هندمت رحمة جيدا.

رحمة: روميسة أنا متوترة، ماذا أفعل؟!

روميسة بمرح إذ لا تعرف التوتر إلا في الامتحانات: حسنا، إنها ليست ليلة الزفاف مجرد رؤية و أنتما تريان بعضكما طوال الوقت، لا تقلقي.

زفرت رحمة بخفة و نظرت لنفسها في المرآة و إبتسمت كعادتها.

نهضت نسمة و قالت: تبدين رائعة يا رحمة.

روميسة: نعم، إن مجد محظوظ.

رحمة: شكرا لكما.

ثم جلست تناقش صديقتيها في أمر تأجيل الزواج قائلتا:

ماذا أفعل يا بنات؟ لا أريد الزواج الآن!

روميسة و نسمة معا: و لم لا؟

ضحكتا لتخاطرهما ثم قالت روميسة:

لو كنت مكانك لما رفضت، إنه متلهف عليك و يفكر أيضا كم أنك وحيدة بإغتراب والداك، ليت الله يرزقني بزوج متفهم مثله!

نسمة: سيتخلى عن عمله من أجلك، لم تصعبين عليه الأمور أكثر يا رحمة؟!

رحمة: أعرف أنه يفكر بي و أعرف أنه ضحى من أجلي، لكن الأمر بدا لي غريبا!

تنهدت الفتاتان و لم تعقبا.

في الصالة حضرت عائلة مجد و كانوا جميعا مغتبطين و أكثرهم غبطة كانت وردة إذ أصبحت فرحتها فرحتان سيتزوج إبنها كما أرادت دائما و سيتزوج برحمة الفتاة التي تمنتها له!

كما كانت وئام مبتسمة طوال الوقت بسعادة.

كان مجد يرتدي بدلة رسمية سوداء بربطة عنق بيضاء و ينزل شعره للأسفل فيغطي جزءا من جبهته و يلمس عينه اليسرى أحيانا، بدا جذابا و رجوليا.

كانت العائلتان تتحدثان بمرح و عفوية فهم يعرفون بعضهم من الأساس عندما دخلت رحمة بطلتها الأنثوية الباهرة و في يديها صينية القهوة، إلتصقت عينا مجد بها و لم تبارحها جلست إلى جانبه و نظرت إليه فإبتسم لها.

قالت أنها ستعرب عن رغبتها في إطالة الخطبة و لكنها لم تنبس ببنت شفة في الموضوع و قرر أن تكون الخطبة الأسبوع القادم و الزواج بعد شهرين أي في السابع عشر من سبتمبر.

كانت مستاءة بعض الشيء، عندما إنفردت بمجد لاحقا قالت:

مجد لماذا أنت مستعجل على الزواج؟!

كان قد لاحظ إستياءها و ها هي تعرب عنه، قال بإبتسامة:

و لم أنت لست مستعجلة؟

رحمة: أنا لست مستعدة!

قال مجد و هو يدقق النظر في عينيها: سأكون صريحا معك يا رحمة، إنني أتحرق شوقا لإحتضانك بين ذراعي كل ليلة، هذا هو السبب الثاني.

إحمرت رحمة بشدة و لم تعقب، فأردف:

لذا إرأفي بحالي رجاءا!

رفعت عيناها إليه، فقال و هو يمسك يديها بقوة:

هل توافقين؟

أومئت له و إبتسمت فتهللت أساريره و سحب يديها إليه يقبلها برقة.

قال: تبدين بغاية الأنوثة عندما تخجلين.

••••••••

و بعد أسبوع تمت الخطبة و كانت رحمة ترتدي خاتم خطبتها بسعادة و لا تنزعه أبدا.

في أول خرجة لهما بعد الخطبة كانا متجهين نحو معرض الجزائر الدولي للكتاب ، كان مجد قد وعد رحمة أن يشتري لها كل الكتب التي تريد و قد تحمست جدا لهذه الفكرة.

قال: سنقرأ هذه الكتب معا على أية حال عندما نتزوج، إحرصي على إختيار الأفضل.

فأجابت بمزاح : لا تشكك في ذوقي يا مجد.

مجد: لم أفعل!

ثم أردف: أنا سأشتري كتب ألكسندر دوما.

أومأت له رحمة بسعادة، كانت متحمسة جدا لهذه الزيارة مع مجد.

توقفا قليلا لتناول طعام الغذاء في مطعم ثم إستئنفا السير و لكن بعد هذا الغذاء جاثت رحمة ألام عسيرة.

في السيارة كانت رحمة تتألم بصمت من دورتها، فهي من النساء، اللاتي يتألمن بشدة منها و قد نسيت تناول دواءها الخاص بالألم أو إحضاره.

حينما رآها مجد في تلك الحالة تنحني بجذعها إلى الأمام و تتلمس أسفل بطنها كل دقائق، سألها قائلا في حيرة: ما بك يا رحمة؟!

تطلعت إليه في حياء و لم تعلم ماذا تقول، أجابت: لا شيء.

مجد و هو يدقق النظر في عينيها: من الواضح أنك تتألمين!

ثم أردف و قد لمعت في رأسه فكرة:

فهمت! إنها دورتك.

إنصدمت رحمة من صراحته و تضرجت وجنتاها بحمرة الخجل، قالت بإنفعال:

قسما بالله غير ذرة حشمة ما عندكش (أنت لا تملك ذرة حياء)

ضحك مجد ثم نظر إليها قائلا: و لم قد أخجل؟ هذا أمر طبيعي!

أشاحت رحمة بوجهها عنه متابعة الطريق من نافذة السيارة و إتجه مجد إلى أقرب صيدلية ليشتري لها الدواء، فتوقفا بعد دقائق عند صيدلية، نظرت رحمة بصدمة هي لم تعلم أنه سيشتري لها الدواء، إنه مراع حقا و متفهم، هكذا خمنت بينما تبتسم مع نفسها.

عاد بعد دقائق و هو يمسك قارورة ماء و الدواء في كيس. و أعطاها لها من نافدتها ثم قال و هو لا يزال بالخارج:

هل تحتاجين شيئا آخر؟

قالت: لا.

فصعد مجد للسيارة و إنطلقا مجددا.

شربت رحمة الدواء و بعد مدة تحسنت حالتها،

قالت و هي تتطلع لشعر مجد الذي تتمايل خصلاته مع الرياح الخفيفة من نافذة السيارة : شعرك رائع يا مجد،

هل يمكنني لمسه؟

إبتسم مجد و قال: و هل هذا سؤال يا رحمة؟! بالطبع يمكنك.

تقدم قليلا نحوها، فوضعت يدها على رأسه و راحت تمررها على خصلاته الكثيفة الناعمة و تخلخل أصابعها فيها.

قالت: إنه جميل حقا.

مجد: يسعدني أنه يعجبك.

أومأت له مبتسمة.

في ذلك الوقت كان دانيال قد وصل إلى باريس بعدما ركب الطائرة في الصباح و ودعه مجد، كان قد حضر حفلة خطبة مجد و أخبره أنه سيحضر الزفاف أيضا لاحقا، كان بغاية الحزن لأن مجد سينتقل للعمل في الجزائر و لن يعمل معه في مستشفى سانت لويس مجددا، كان الأمر صعبا عليه فهما معا منذ إثنتا عشر عاما في الجامعة و بعدها.

كان ذهنه أيضا يضج بالأفكار، فمنذ آخر محادثة له مع رحيم دخل شك عميق إلى نفسه و أصبح يبحث في دينه أكثر و تساؤل بينه و بين نفسه: هل أنا مسيحي عن وراثة أم عن إقتناع؟!

لماذا لم يبحث من قبل و يختر بنفسه؟ لقد وجد نفسه مسيحيا منذ أن ولد و بقي على ذلك، هذا يعني أنه يجب أن يعطي البحث فرصة على أية حال، لأنه كان يجب أن يفعل ذلك منذ البداية.

عندما وصل إلى بيته الخالي من زوجته اللطيفة بعدما كان ممتلئا بضحكاتها و مرحها الطفولي الجميل رأى أنه لم يعد حزينا عليها، لقد عانى لعامين من غيابها و لكنه الآن وقع في الحب مجددا، خمن أنه الطريقة الوحيدة للتخلص من حب هو الوقوع في حب شخص آخر،

كانت في السابعة عشر و هو في السابعة و العشرين عندما وجدها، كانت فتاة جميلة و لطيفة و حزينة إلى درجة كبيرة، مشردة في الشارع بلا مأوى، راعه منظرها و هي تجلس على الجسر تمد يدها للمارة ليتصدقوا عليها ببضع فرنكات كانت ترتدي ثيابا رمادية رثة و تسدل شعرها الأسود المتسخ الذي ذهبت لمعته وراء ظهرها، كان بعض المارة يناظرون جسدها عندما تمد يدها إليهم بحقارة بمعنى أستطيع منحك نقودا و لكن بثمن فتشيح نظرها عنهم بخوف فهم نفسهم من تهرب منهم في الليل و تنام على كرسي الحديقة و مجنون عجوز يشاركها الحديقة و ينام على العشب، يهذي بأشياء غريبة.

يوم رآها و كان قد خرج من عمله يجوب الطرقات أشفق عليها كثيرا، تقدم منها و أعطاها مبلغا معتبرا و عندما رأى سعادتها و إلتماعة عينيها قرر أن يساعدها.

قال: هل تأتين معي يا آنسة؟

توجست خيفة، ظنت أنه مثل أولئك الرجال القذرين الذين يطمعون بها، فعارضت برأسها بقوة.

و كانت تهم بإعادة نقوده إليه إذ وقفت و حملتهم نحوه فأمسك بيدها و قال: لا، خديهم رجاءا.

رأت في عينيه نظرات مختلفة فقررت الإستماع إليه، قال:

أود مساعدتك، ثقي بي و تعالي معي.

ترددت و إرتسمت الحيرة على محياها، ثم أومأت له و تبعته، توجه بها إلى بيته و عندما وصلوا ترددت في الدخول فأمسكها من يدها و أدخلها ثم أغلق الباب.

أخدها بعدها للحمام و أعطاها ملابسا نظيفة هي لأخته التي تزوجت منذ مدة و تركت بعضا من ملابسها في غرفتها ثم تركها لتنظف نفسها.

و ذهب ليعد لها الطعام، عندما خرجت من الحمام نظيفة بدت له بغاية الجمال، كانت حقا كتلة من اللطافة و الجمال و شعرها لامع بعد أن غسلته بالشامبو و أزالت وسخه.

نظر إليها مطولا ثم حمل المقلاة و سكب في الصحن على الطاولة البيض بالفطر.

ثم دعاها قائلا بإبتسامة: إعذريني يا آنسة أنا لست جيدا جدا بالطبخ، كلي هذا و سأطلب لاحقا طعاما لكلينا.

إبتسمت له بصدق و خجل ثم إتجهت للكرسي و جلست تأكل بشره أذهله، من الواضح أنها لم تنعم بطعام كهذا منذ زمن.

بعدما فرغت من الطعام، نظرت إليه بخجل فقد كان يناظرها بتمعن عندما كانت تأكل، قال و هو يمد لها كوب عصير: تفضلي بعض العصير.

شربته ثم نظرت إليه و قالت: لماذا تساعدني؟

إنصدم كثيرا و أخيرا تحدثت و سمع صوتها، كان جميلا و أنثويا جدا.

قال: ليس لغرض، أنا فقط أتبع إنسانيتي، خمنت أنه كما أنقذ المرضى من الموت فيجب أن أنقذ الناس أيضا من الحياة القاسية إذا تسنت لي الفرصة.

نظرت إليه بإعجاب و هي تبتسم و قالت: هل أنت طبيب؟! هذا مذهل.

إبتسم و قال: نعم، و أنت مذهلة، جميلة و يمكنك الإبتسام هكذا رغم كل ما تعيشينه.

إبتسمت بخجل لمدحه، فقال: سأضمن لك العيش معي هنا في غرفة أختي، لا تقلقي، لن تعودي للشارع مجددا.

تهللت أساريرها و شعرت أنها تملك العالم بإمتلاكها لمأوى أخيرا ، فقال و هو يرى فرحتها: كم عمرك؟

فأجابت: سبعة عشر عاما.

فقال: أرجوا أن تخبريني بقصتك يا...

قالت: كارين.

فقال بإبتسامة: يا كارين.

تنهدت كارين وقالت:

بعدما توفيت أمي تزوج أبي بإمرأة حقودة تغار كثيرا مني لأنني أجمل منها و أذكرها بأمي، كانت تعاملني بقسوة و كان والدي يساندها غير آبه بي بعد أن كان حنونا معي عندما كانت أمي على قيد الحياة، في مرة كنت عائدة من الثانوية عندما سمعتها تحدث أبي بإنفعال قائلتا: لقد سرقت عقد الذهب خاصتي، يجب أن تعاقبها، ربما تكون مدمنة مخدرات! و أخدته لتشتري به.

غضب أبي غضبا عارما، أنكرت و بكيت و لكنه لم يستمع إلي ضربني ضربا مبرحا و حبسني في غرفتي لأيام مانعا إياي من الذهاب للثانوية ظنا منه أنني أتعاطى المخدرات مع أصدقائي المنحلين كما أقنعته. فهربت من النافذة و أصبحت أجوب الشوارع منذ ذلك الوقت يا سيدي!

كان دانيال يستمع منصدما لقصتها و لما سكتت قال:

مؤسف جدا، منذ متى حدث هذا؟

كارين: منذ أشهر.

قال بقوة و تشجيع: لا تقلقي أنت بأمان الآن.

خفق قلبها لحنيته و وقعت في حبه منذ تلك اللحظة،

توالت الأيام عليهم بسكينة فكان دانيال يعود من العمل ليجدها قد عادت من الثانوية التي سجلها فيها لتكمل دراستها و قد طبخت لهما طعام العشاء، يبتسم لها و يدردشان طويلا في كل شيء، يساعدها في دراستها و يوجهها و قد حلمت أن تصبح طبيبة مثله و شيئا فشيئا وقع في حبها و طلب منها الزواج فكانت بغاية السعادة لذلك.

أحبها دانيال حبا شديدا و أزهرت دنياه بهذا الحب، كان كل يوم يمر عليهما مليئا بالسعادة، حتى أصيبت كارين بتسمم دموي و فارقت الحياة لتتركه محطما تماما.

راح يوضب أشياءه بتنظيم و بينما هو كذلك سقط القرط الذي وجده في حديقة منزل مجد على الأرض، فحمله بإهتمام و راح يقلبه، كان فضي اللون بشكل دمعة، دقق فيه جيدا فإكتشف أنه من التوباز فهو خبير بمعرفة المجوهرات لأن والده كان جواهرجي.

جلس على سريره و وضع يده على ذقنه ثم راح يفكر، قرط من هذا؟! لقد نسي أمره تماما كان من المفترض أن يعطيه لمجد ليرى لمن هو!

خبأه في درج مكتبه و قرر أنه سيعيده إليه في الزفاف القادم.

●●●●●●●●

طيلة شهرين كانت الإستعدادات لحفل الزفاف على أشدها، قرر مجد أنه سيقيم و رحمة في منزل عائلته القديم ببئر مراد رئيس و عندما سأل رحمة عن رأيها أخبرته أنها قد أحبته كثيرا و أنها

تحب البيوت الأرضية و أحبت الحديقة و قررت غرس عدة أنواع زهور فيها لتبدو كالجنة.

قال مجد عندها بمشاكسة: أخشى أن تهتمي بها أكثر مني يا قزمتي.

فضحكت رحمة و قالت: لا يا مجدي، لن أفعل.

منذ أخبرها مجد أنه يعشق كونها قصيرة فهذا يمكنه من حملها بكل الطرق، بينما لو كانت طويلة لما كان الأمر جذابا بالنسبة إليه،

أصبحت لا تنزعج عندما يصفها بالقصيرة و القزمة.

كان المنزل يحتوي على ثلاث غرف(في السابق غرفة له و غرفة لوئام و غرفة لوالداه) و صالة فسيحة و مطبخ و حمام و رواق أنيق مزين بلوحات في جدرانه.

كان قد إختار غرفته السابقة لتكون غرفتهما و جهزها بشكل جميل على ذوقه كما طلبت منه رحمة، و قد كانت رمادية اللون.

أما غرفة والديه فأصبحت غرفة القراءة حيث بها مكتبة و كنبة مريحة، كانت في غاية الجمال هي حلم كل قارئ. و قد جهزها خصيصا لمحبوبته دودة الكتب و صبغها باللون البنفسجي لونها المفضل، لون الحكمة و الخيال الواسع.

كان منزلهما في غاية الأناقة و الجمال، من يدخله يتمتع بالنظر إليه و الجلوس فيه و ذلك بسبب ذوق مجد الرفيع.

كانت وئام قد إحتجت على والديها لتجديد منزلهم أيضا كما فعل مجد، فقد أعجبها جدا كم هو عصري و جذاب.

غرفة وئام بقيت كما هي، قالت رحمة متحمسة أنها ستكون غرفة إبنهما المستقبلي، فإزدادت حيرة مجد أكثر.

لقد إخترع عقار العقم منذ شهرين، قبل عودته للجزائر و كان في حيرة كبيرة إذا كان عليه تسليمه أم لا!

لم يخبر أحدا بأمره حتى والده لم يفاتحه بالموضوع و بفكرة العقم فقد كان مترددا.

و قد ترك العقار في مختبره بفرنسا و لم يعد لها منذ شهرين أبدا.

عندما جربه على فئران مختبره، حقنهم به ثم جهزهم للتزاوج و إنتظر طويلا و جرب مع عدة ثنائيات فلم يحدث شيء و لم يتوالدوا أبدا.

شعر عندها بالرعب للفكرة فهناك فرق بين أن تفكر بشيء و بين أن تراه بأم عينيك يتحقق،

لقد توصل إليه بعد عدة محاولات و تجارب و أبحاث، مزج فيه كل معرفته العلمية التي كان قد حظى بها على الإطلاق!

تذكر إديسون و كيف حاول سبعمئة مرة من أجل المصباح، قدر أنه قد حاول أكثر منه، لأن مجد عنيد و لا يقبل الهزيمة مهما حدث!

حسنا! كيف يخبر رحمة بذلك؟! كيف يخبرها أنه لا يريد أن ينجبا طفلا يرى نهاية العالم! إنه يرى رغبتها في أن تصبح أما في عينيها.

هو أيضا يرغب بطفل منها رغبة عظيمة، كان دائما يحب الأطفال و يرغب بطفل و لما إلتقى رحمة أصبحت رغبته مضاعفة.

كان يريد طفلا من دون زوجة و لكنه بهذا سيحصل على زوجة من دون طفل.

اليوم عند رحمة،

ذهبت للحمام من أجل تجهيز نفسها لعرسها، كانت ترتدي"البدرون العاصمي" اللباس التقليدي الخاص بالجزائر العاصمة، كان أرجواني اللون و بدت بغاية الجمال به فقد أبرز جمال قوامها النحيف و رشاقته و كانت تطلق العنان لشعرها البني الطويل اللامع لينسدل وراء ظهرها بنعومة و قد سرحته بشكل جميل و إرتدت سلسلة على جبهتها تغطيها بجاذبية متعلقة بشعرها.

تعالت الزغاريد و الأهازيج عند الوصول للحمام، كانت روميسة و نسمة في غاية السعادة يرافقن رحمة كظلها و كانتا تحملان الشموع.

كانت رحمة قد أحضرت معها لوازم الحمام و الحلويات الجزائرية التي توزع عادة في ساحة الحمام بعد الإنتهاء.

جلست تستمتع بحمامها الذي تساعدها فيه النسوة بينما ينشدن لها بسعادة، كانت في غاية السعادة و كانت صفاء لا تكف عن

التصفيق و الغناء و تحرص على تكييسها جيدا و تضع على جسد رحمة أجود المستحضرات و تحرص على جعل بشرتها ناعمة و نظرة.

و خلال ذلك كانت تتذكر اليوم الذي حملت فيه رحمة لأول مرة بين يديها و تنظر إليها الآن فتجدها تجهزها لتزف إلى زوجها فتترقرق في عينيها الدموع بتأثر.

بينما نسمة تغسل شعر رحمة بشامبو جوز الهند و تضع البلسم بعده بعناية راحت روميسة تغني و ترقص في الأنحاء بمرح فجعلت جميع النسوة ينهضن للرقص أيضا مشيدات بجمال رقصها و عفويتها و حضورها الإيجابي.

ضحكت رحمة بصخب فقالت روميسة بصوت عال لها:

سأرقص حتى تتورم قدماي في عرسك يا رحمة.

و بعدما أنهت رحمة حمامها تأنقت بمساعدة "الماشطة" و هي المرأة التي تهندم العروس و تحرص على أناقتها.

جلست على كنبة وفيرة في الساحة مبتسمة و النساء من حولها يصفقن و ينشدن و يوزعن الحلويات.

و مساءا كانت طقوس الحناء قد بدأت، جاء أهل العريس مع المغرب محملين بسلتين واحدة بلوازم الحناء (شموع وحنة و قفازين و وسادة صغيرة لتضع عليها العروس يديها و بيض و سكر) أما السلة الأخرى فتحتوي هدايا كالعطور و الذهب...

حملت وئام شمعة منارة و وقفت بقرب رحمة من جانبها الأيمن كانت ترتدي "كاراكو" أزرقا و بدت بغاية الجمال.

و راحت وردة تضع الحناء على يد رحمة التي كانت ترتدي "قندورة قطيفة" حمراء و تزين وجهها بمكياج أحمر.

تعالت الزغاريد و كانت النسوة يحملون الشموع حول العروس و بعد إنتهاء وردة من وضع الحناء وضعت فوقها عملة ذهبية و غطتها بالقفاز، ثم وضعت رحمة يدها على الوسادة التي جلبتها لها عائلة العريس. أطلقت وردة زغرودة طويلة و راحت ترقص ببهجة،

و راحت النسوة يرقصن على إيقاع الموسيقى الصاخبة كانت وئام تتمايل برشاقة و الإبتسامة لا تفارق وجهها و راحت تؤذي رقصة ثنائية مع روميسة ثم ضحكتا بصخب كونها أتت متقنة.

أما نسمة التي كانت لا تجيد الرقص فقد إنزوت إلى جانب رحمة و إكتفت بالتصفيق و التصوير و قد كانت تحثها روميسة على توثيق كل لحظة لترسلها لها لاحقا.

و غذا في صالة العرس، كانت رحمة في غرفة جانبية تجهز نفسها مرتدية فستانها الأبيض الجميل، كان منفوخا في جزءه السفلي و مزخرفا في صدره بنقوش بتفاصيل جميلة و كانت ترتدي حجابا أبيضا حريريا و تضع مكياجا من صنع روميسة.

قالت صفاء و هي تطالع إبنتها من كل الجهات:

تبدين كملاك يا عزيزتي.

إحتضنتها رحمة بحب، ثم أخرجتها صفاء من حضنها و قالت:

مجد رجل جيد يا عزيزتي، إحرصي على أن تكوني له زوجة جيدة.

أومأت لها رحمة بطاعة.

في الخارج بالقاعة الفسيحة إنتشرت طاولات زاخرة بالمأكولات و المشروبات المتنوعة.

و زينت بدقة بورود و بالونات و كانت رحمة تجلس إلى جانب مجد على أريكة العروسين التي في نهاية القاعة و تتلقى التبريكات بإبتسامة واسعة، كان مجد في غاية السعادة و قد بدا جذابا جدا ببدلته الزرقاء، خمنت رحمة أن الأبيض و الأزرق هما أكثر الألوان روعة على مجد، كان يهمس لها بعبارات الحب و الغزل و يخبرها كم هي جميلة كل دقائق فتبتسم بإتساع لبراعة لسانه و عذوبة كلامه.

كان من المقرر أن يمضيا ليلة الزفاف في منزلهما ببئر مراد رئيس ثم يسافرا غدا إلى فرنسا لقضاء شهر العسل هناك.

إستمر الرقص و الطرب طويلا إلى أن جاء موعد مغادرة العروسين إلى عشهما.

كان دانيال مستمتعا بالزفاف خاصة و قد وجد نفرا لا بأس به من الناس يجيد الفرنسية و خاصة و أنه قد تعلم عدة كلمات عربية خلال إقامته سابقا و أيضا لأن الطعام الجزائري أعجبه كثيرا.

كان يطالع وئام بحب، كانت الأخيرة ترتدي فستانا لصيقا أزرق اللون يظهر منحنيات جسدها الرشيق و تضع مكياجا صاخبا على وجهها متماشيا مع تصميم الفستان الذي يحتوي سماسم عديدة متناثرة فكان لامعا جدا، لاحظ أنها تضع قرطها في حجابها تزينه به و كأنها أرادت إرتداءه بأي طريقة تكريما لجدتها، فتفطن أن القرط الذي بحوزته هو ملك لها!

فإتجه نحوها و هو مبتهج لأنه وجد طريقة للحديث إليها، تقدم نحوها فإبتسمت له، قال: مرحبا.

قالت: أهلا، أنت دانيال صديق أخي، دائما ما يحدثنا عنك. هل تستمتع بالحفل؟

دانيال و قد إتسعت إبتسامته: نعم، أستمتع كثيرا.

ثم أردف و قد أخرج القرط من جيبه: أظنه يخصك، إعذريني لقد نسيت تقديمه لمجد في المرة الفائتة.

لمعت عينا وئام و أخذته منه بسعادة ثم قالت: شكرا يا دانيال.

كان قلبه يخفق بعنف و هو يتحدث إليها، إنها لطيفة و سهلة التعامل كما ظن تماما.

عند العروسان كانا قد قاما للرقص في وسط القاعة وسط تحديق جمهورهم بهم بإعجاب، كانت رحمة تتمايل بخفة بين ذراعي مجد و هي في غاية السعادة.

ثم بعد إنتهاء الرقصة خرجا ليستقلا سيارة مجد السوداء اللامعة المزينة بالورد الأحمر و القلوب، جلسا في المقعد الخلفي بعد أن ودعا الجميع في الخارج و أمر مجد السائق بالتحرك.

في السيارة كان يحتضن كف رحمة بحب و يطالعها بلوعة و كذلك هي، عندما وصلا لبيتهما و كانت حديقته أيضا مزينة بشكل رائع و رومانسي جدا، ساعد مجد رحمة على النزول من السيارة فتأبطت ذراعه و مشت نحو المنزل و بوصولهم للحديقة حملها بين ذراعيه و أكمل المشي للمنزل فتح الباب و دخل.

كان المنزل أيضا مزينا بعناية وضعها مجد على الأرض فجالت بنظرها فيه في تفاصيل البتلات الحمراء و البيضاء المتناثرة هنا و هناك و البالونات التي تجتمع على الجدار مشكلة إسميهما مجد و رحمة.

أعجبتها كل التفاصيل و تطلعت لمجد في زهو فأخدها لغرفتهم من يدها، دخلا و مشيا إلى منتصف الغرفة، قبل مجد يدها التي يمسكها بحب و هو ينظر في عينيها بتمعن، ثم أحاط خصرها بتملك و إقترب منها يطبع قبلة عميقة على جبينها.

أغمضت عينيها، قربه جعل قلبها ينبض بعنف، لأول مرة يكون قريبا منها لهذه الدرجة. أمسك وجهها بكفيه قائلا بإبتسامة:

أصبحتي لي يا حبيبتي.

نظرت في عينيه بتمعن كما يفعل فرأت فيهما حبا كبيرا، إبتسمت له و قالت بتأثر: نعم.

إبتعد عنها ببطء و هو يناظرها مبتسما ثم قال: سأتركك الآن لتأخدي راحتك في تبديل ثيابك.

أومأت برأسها فخرج و راحت تضع يدها على قلبها الذي تكاد تسمع نبضاته.

نظرت لنفسها بالمرآة و إبتسمت كعادتها، كانت متوترة للغاية و لهذا جلست تنظر للمرآة أكثر و تبتسم لنفسها لتشجعها و يزول توترها. ثم نهضت تنزع طرحتها و فستانها الثقيل و إرتدت ثياب نوم زرقاء و إرتدت فوقها إسدال الصلاة ثم جلست تنتظره و هي

تتمتم بالذكر لكي تهدئ نفسها.

و بعد دقائق دخل عليها فوجدها تجلس على السرير بهدوء، إبتسم لها بحب و قال:

إنتظريني يا حبيبتي، سأبدل ملابسي أنا أيضا و آتي.

أومأت له بإبتسامة فدخل الحمام ثم خرج و قد غير ثيابه إلى تي شيرت أبيض و سروال كاجوال أسود.

صلى بها ثم وضع يده على رأسها يقرأ الدعاء: اللهم إني أسألك خيرها و خير ما جبلتها عليه و أعوذ بك من شرها و شر ما جبلتها عليه.

ثم إبتسم لها فبادلته إبتسامته بتوتر، إقترب إليها و نزع إسدال صلاتها، لتبقى أمامه بثياب النوم ، تضرجت وجنتاها بحمرة الخجل و إزداد توترها لوقوفها أمامه بهذه الهيئة، فك رباط

شعرها لينسدل بنعومة على كتفيها ثم داعب خصلاتها بحب، سحب خصلاتها إليه و قبلها، لأول مرة يرى شعرها و قد أعجبه كثيرا و وقع في حبه كما وقع في حب كل شيء فيها، رفع ذقنها لتنظر في عينيه، قال: كم أنتِ جميلة يا رحمة!

إبتسمت بسعادة لمدحه و قبل أن تجيبه كان يحملها إلى فراشهم، وضعها برفق و أصبح فوقها، إقترب إليها و راح يطبع قبلات متفرقة على وجهها و شعرها المتناثر لتسترخي و عندما شعر بإسترخاءها، قبل شفتيها أخيرا كما تاقت له نفسه دائما، قبلها بقوة و بنهم ثم إبتعد عنها يتلمس خصلاتها وهما يلهثان. كانت كالمخدرة بلمساته،تعيش خارج الزمن، نزل بقبلاته إلى رقبتها و هو يضع علامات تملكه عليها فكانت تشهق و تخلخل أصابعها في شعره، فغاصا في عالمهما الخاص و عاشا ليلة بلحظات دافئة.

١٣

هداية.

في منزله بفرنسا قضو شهر العسل الذي هو أسبوع العسل فرحمة يجب أن تعود للجامعة قريبا،

كانا كل يوم يزوران مكانا جديدا و كان كل يوم يمرعليهما مليئا بالسعادة،

اليوم إتجها نحو حديقة اللوكسمبورغ، كانا يمشيان في مساحاتها الخضراء متشابكي الأيدي و يدققان في كل التفاصيل التي تجعل الجميل جميلا و أجمل تفصيلة هي وجودهما معا.

كانت تمسد على شعره كل ليلة بحنو فيشعر براحة لا مثيل لها.

كان معتادا على أن يضعها في حجره كل مساء بينما يشاهدان التلفاز على الكنبة فيطعمها كطفلته من الفشار و الكعك الذي أعده لهما و يمطرها بالقبلات فتتململ بين أحضانه لأنه لا يدعها تشاهد الفلم.

تخبره أن يأكل هو أيضا فيقول و هو يستمر بتقبيل وجنتها:

أنتِ ألذ.

فتحمر خجلا لقوله ليتلمس وجنتيها الحمراء المشتعلة بحب و يزيد من قوة تقبيله لهما.

إنه يعشق خجلها و إحمرار وجنتيها المغري.

كلاهما كانا يحب أفلام الخيال العلمي فشاهداها جميعا معا، كما شاهدا أفلام و مسلسلات الطب مثل "غراي اناتومي".

و اليوم كانا يقرآن معا كتاب"قصر الطيور الحزينة " حيث يجلس مجد محتضنا رحمة على الأريكة و يمسك بالكتاب و يقرآن، كان مجد قارئا سريعا و رحمة أبطئ منه إذ تفضل التمعن في الكلمات و أحيانا تفكر في نفسيات الشخصيات مليا و لما فعلوا ذلك قبل أن تنتقل إلى الأسطر التالية.

كان مجد سيقلب الصفحة عندما إستوقفته رحمة و هي تمسك بيده قائلتا:

أنا لم أنهي بعد!

فقبل جبينها و راح يدقق في ملامحها و هي تقرأ بتركيز.

شعر بالحزن لأنهما مضطران للعودة غذا للجزائر، لقد إنتهى الأسبوع بسرعة. تذكر قول ميخائيل نعيمة:

دقيقة الألم ساعة.... و ساعة اللذة دقيقة.

و بينما هم مستمرون بالقراءة أذن الآذان لصلاة المغرب فنهضت رحمة مباشرة تحثه على أن يصليا فورا و لا يأخراها.

كان مجد يأخر الصلاة في العادة و أحيانا ينساها فيراكمها و أحيانا لا يصلي أبدا و قد تساءل بينه و بين نفسه إذا كان الطب كافيا ليدخل إلى الجنة.

و لكن بوجود رحمة معه أصبح إلتزامه بالصلاة أفضل، عندما أخبرها بتأثيرها عليه إبتسمت و قالت:

ساعدني أنت في الطب و أنا سأساعدك في دخول الجنة.

فإبتسم بإتساع و قال: أنتِ جنتي في الأرض.

بعدما صليا أخدها للمطبخ و حملها واضعا إياها فوق رف المطبخ الذي يطبخ عليه، تتطلع إليه بينما يطبخ لأنه لا يسمح لها بذلك.

عندما سألته عن السبب قال أنه يحب أن يطبخ لها بنفسه، كان يقطع الفطر و الطماطم بينما يتناقشان في الكتاب الذي قرآه.

و عندما نضجت المعكرونة بالجمبري التي أعدها منحها لقمة ينتظر رأيها، فقالت بإبتسامة: لذيذة جدا، سلمت يداك.

إبتسم بإتساع، كان يعشق تحضير الطعام لها و سماع مدحها.

وضع بعدها العشاء على الأطباق و حرص على تزيين طبقيهما جيدا كدأبه ثم حملها مجددا و وضعها على الكرسي لتأكل.

كان يدللها كثيرا و كانت في غاية السعادة لذلك.

و بعد العشاء غسلا الصحون معا ثم أخدها لمختبره كما طلبت منه لأنها في غاية الفضول ليحدثها عن كل شيء فيه منذ مجيئها إلى بيتهم هذا،

لبست مئزره الأبيض الإضافي فبدا طويلا عليها و كان هو أيضا يلبس خاصته ضحك عليها بينما يضعها فوق طاولة المختبر الزجاجية العملاقة و قال: قزمتي الجميلة، تبدين بغاية الظرافة!

و قبل وجنتها فإمتعضت لذلك و قالت: طولك ١٠٨٨م هذا يعني أن بيننا ثلاثين سنتيمترا من الطبيعي أن يكون مئزرك طويلا علي.

فأمسك وجنتها يشدها و قال بإبتسامة: أعلم يا قزمتي.

ثم أحضر دوارقه المختبرية و أراها مواده، كما أراها أين يزرع نباتاته الطبية في الركن تحت النافدة و سمى لها الأنواع:

الارغمون، الذنيان، الأخيون، ابو قابوس، عين العفريت،كالميا...

و أراها أيضا الحشرات التي يستخدمها لصناعة العقارات و كانت في حوض كبير به تربة، السرعوفة و ديدان الأرض و...

ديدان الأرض مثلا تستخدم لعلاج الحمى، هكذا قال.

فشهقت رحمة قائلتا: لم أكن أعلم أنه يمكن إستخدام الحشرات في صناعة الأدوية!!

إبتسم مجد و قال: لا تستهيني بها، إن فائدتها عظيمة و قوية أيضا، أليست الكائن الوحيد الذي نجا من العصر الجليدي؟!

رحمة: لم أكن أعلم بهذا أيضا.

مجد: ها أنت تتعلمين.

رحمة بحماس و هي تنزل من الطاولة و تمسك ذراع مجد:

علمني كل شيء أيها العالم مجد.

ضحك و قال: بالتأكيد.

راحت رحمة تجوب المختبر أكثر فلاحظت فئران مجد الذين كان يضعهم على رفوف في أقفاص صغيرة، لاحظت رحمة أنهم ثنائيات و كانوا نحو عشرين ثنائيا فقالت و هي تشير نحوهم: هل هم أزواج؟

أومئ مجد فقالت و هي تدقق النظر فيهم جميعا: من الغريب أن إناثهن جميعا لا يظهر عليهن أية أعراض حمل، إنها صدفة غريبة.

إرتبك مجد، هو يعلم أنها ذكية و ستكتشف الأمر، فأمسكها من كتفيها و أخدها يريها أشياء أخرى.

ثم ذهبا للنوم فطائرتهما غذا صباحا.

•••••••••

في فرنسا، عند دانيال.

كان يجلس القرفصاء فوق سجادة غرفته يقلب في الحاسوب و يمسك أوراقا بيضاء بإهتمام، كان قد أمضى الشهرين الفائتين في البحث في الدين و قد إضطرب عقله كل الإضطراب.

كان يقارن بين آيات القرآن فيجد فيها الإتفاق التام ثم يذهب للإنجيل و يقارن بين نصوصه فيجد تناقضا كبيرا، لا يتحمله عقل سليم.

كان يسوع يقول: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا"

و بعد هذا قال: "أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة"

و عندما تعجب الفريسيون قائلين: أنت تشهد لنفسك؟ شهادتك ليست حقا!

سحب يسوع قوله الأول و قال:" و إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق."

و هذا تناقض!

كما قرأ في العبرانيين 1:/10_12

:" أنت يا رب البدء أسست الأرض، و السماوات هي عمل يديك، هي تبيد و لكن أنت تبقى،و كلها كثوب تبلى."

و في متى 24:/35

:السماء و الأرض تزولان و لكن كلامي لا يزول "

و في سفر الجامعة 1:/4

:دور يمضي و دور يجيء و الأرض قائمة للأبد.

و هذا تناقض!

هل الأرض تبقى أم تزول؟!

كان قد أمضى الشهرين الفائتين يقرأ القرآن و يدقق فيه و لم يجد أي من هذه الأخطاء و التناقضات بل أذهلته الفصاحة و الجمال و التوافق الذي فيه.

اليوم بحث في السنة النبوية و قرأ قول الرسول ص:

"مثل المسلمين في توادهم و تراحمهم كمثل جسد واحد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى."

و قد أعجبه جدا و لاحظ كم يحث الإسلام على التلاحم و التعاون و الحب و كذلك صلة الرحم و الحب الأسري.

بينما الإنجيل يدخل معتنقه في متاهة كبيرة كتفكيك الأسرة و قطع الصلات بينهم.

قرأ قول المسيح في لوقا 26/14

: "إذا كان أحد يأتي إلي و لا يبغض أباه و أمه و إمرأته و أولاده و إخوته و أخواته، و حتى نفسه أيضا، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا"

و لاحظ الفرق العظيم، و شعر بالذهول من أن ضريبة الدخول في مدرسة المسيح هي البغض للوالد و النفس!!

فشعر بالإشمئزاز و النفور من الأمر بينما إرتاحت نفسه للفكرة الأولى و قائلها الذي أحبه كل من عرفه رسول الله صلى الله عليه و سلم.

أما في العلوم و إكتشاف القرآن لها فإن ذلك أكثر ما أذهله!

في الآية الكريمة: "ناصية كاذبة خاطئة" العلق ٦

تعجب لما رأى أن القرآن تحدث عن الناصية قبل ١٤٠٠ عام!

و قد إكتشف حديثا فقط أن الفص الجبهي (الناصية) هو المسؤول عن السلوك و الأفعال.

و في هذه الآية يقول الله أن المذنبين لديهم ناصية كاذبة خاطئة.

و عندما قرأ سورة النمل و وصل لقوله تعالى:

"حتى إذا أتو على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل إدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان و جنوده و هم لا يشعرون".

و قد تساؤل ما المقصود بهذا الكلام؟ هل للنمل القدرة على تجنب الخطر حقا؟!

و عندما بحث في الأمر، رأى أن آخر الدراسات توصلت إلى أن للنمل قدرا من الذكاء و الوعي يمكنه من معرفة الإتجاهات و الأمكنة و على التمييز بين الصحيح و الخاطئ و الإحتياط من الأخطار و تنظيم حياته الإجتماعية بمجموعة من القوانين الدقيقة.

الآن بينما يجلس و يضع يده اليمنى على ذقنه يمسك بالقرآن الكريم بيد و بتفسيره أيضا.

قرأ آية:" ألم نجعل الأرض مهادا و الجبال أوتادا ".

و راح يبحث في الأمر عن هذه الأوتاد التي يقصدها القرآن، و أثناء بحثه رأى أن العلوم الحديثة قد توصلت إلى أن للجبال جذورا عميقة تخترق الغلاف الصخري للأرض إمتدادا إلى الداخل و يتراوح طوله بين عشرة و خمسة عشر ضعف إرتفاعه الخارجي

و وظيفتها تثبيت الأرض و منعها من التمايد بنا.

إذا هذه الجذور هي ما وصفه الله بالأوتاد، قال و هو يفكر بعمق و خشوع.

كل إكتشاف يشتته أكثر و يجعله يدرك أنه كان في الطريق الخاطئ طوال حياته و لكنه لا يملك الشجاعة بعد للتغير و الإعتراف بأنه كان يعيش في وهم فهذا صعب جدا! و لهذا هو يستمر بالبحث و التأكد لمئات المرات و كلما بحث إزداد فضوله و نهمه في البحث.

عندما بحث في الأدلة العلمية الخاصة بالإنجيل ليرى إن كان قد حذى حذو القرآن الكريم إنصدم كثيرا.

في سفر التكوين 1:/9_13

إن الله خلق الضوء في اليوم الأول.

و في سفر التكوين 1:/14_19

أن النجوم و الشمس خلقت في اليوم الثالث.

و هذا ليس علميا و لا منطقيا، فكيف يخلق الضوء قبل مصدره؟!!

و قد ورد في سفر التكوين 11/1_13

أن الخضار خلقت في اليوم الثالث، و في نفس السفر: 14/1_19

أن الشمس خلقت في اليوم الرابع.

و هذا ليس منطقيا! فكيف تخلق الخضار من دون الشمس؟!

و ثبت في سفر الأمثال 6:/6_7

أنه ليس للنمل ملك أو حاكم و لكن العلوم الحديثة أثبتت غير ذلك، النمل يعيش وفق نظام دقيق و لهم حاكم و ملكة.

كلما توغل أكثر وجد أن الإسلام أكثر إقناعا و سرت في جسده رعشة المخدول و غطا العرق صدغيه و شعر و كأنه يسحب لثقب أسود مدمر فتاك!

بالنسبة للأخطاء الحسابية التي حدثه عنها رحيم فقد وجد العديد منها خلال بحثه الدقيق و راعه ذلك، بينما لم يجد في القرآن أي خطأ بل كان بديعا جدا بالنسبة إليه.

كما لاحظ أن هناك نبوءات في الإنجيل لم تتحقق مثلا:

ورد في أرمياء30/36

أن أحدا لن يتمكن من الجلوس على عرش داوود بعد وفاة يهوياقيم، و لكن ذلك لم يتحقق فقد جلس من بعده إبنه يهوياقين كما ورد في سفر الملوك الثاني 24:/6

بينما في القرآن رأى نبوءة فوز الروم على الفرس في سورة الروم.

الم غلبت الروم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين".

و بضع سنين في اللغة العربية تعني ما بين ثلاث و تسع سنين و قد تحقق ذلك بالفعل، فازت الروم على الفرس بعد سبع سنوات من نزول الآيات القرآنية.

طيلة الشهرين الفائتين لاحظ أيضا أن القرآن كرم مريم عليها السلام و ذكرها بأحسن الصفات في ٣٠ مرة. و إختصها الله بسورة كاملة إسمها "مريم"

بينما في الإنجيل لم يرد إسمها أبدا و إذا ورد على لسان يسوع يقول لها: يا إمرأة! يا إمرأة!

و هذا ليس أخلاقيا و قد برئ عيسى عليه السلام من هذا في القرآن الكريم.

وضع دانيال القرآن جانبا و تنهد عاقدا يديه أمام بطنه، أغمض عينيه و دعا في أعماق أعماقه أن يهديه الله إليه إن كان موجودا.

و بينما هو كذلك يتضرع في يأس و حيرة، أملت عليه نفسه أن يفتح القرآن على صفحة عشوائية، فوقعت عينيه على الآية:

أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا.

دمعت عيناه لذلك ثم أتبعها بسيل من الدموع بللت وجهه، وضع كفيه على وجهه و إنتحب و هو يشهق.

حدث نفسه قائلا: نعم! هذا هو، القرآن من عند الله و لم يتعرض للتحريف و لهذا ليس فيه أية أخطاء، الإنجيل محرف و خاطئ و ديني خاطئ، الإسلام هو دين الحق!

إن المسيح ليس إبن الله و لا الله بل هو نبي من أنبياء الله، إختصه بقدرات خارقة و جعل مولده معجزة.

مسح دموعه بقوة و نظرة عزم في عينيه، سيذهب حالا لأقرب مسجد في باريس و يخبر الإمام بأنه دخل للإسلام و سيتخذ الإجراءات اللازمة.

١٤

قرار.

عندما عاد مجد و رحمة لمنزلهما في الجزائر وافق ذلك "السابع" و هو اليوم السابع لزواجهما و فيه تحتفل عائلة العروس بها فيجلبون لها العديد من الأشياء.

في الصالة إستضاف مجد جاسر و صفاء و رسيم الذي حمله للأعلى و قبله فطلب منه رسيم أن يحمله فوق كتفيه ففعل مجد ذلك بينما يضحك رسيم بمتعة.

كانت رحمة تبدل ثيابها في غرفتهم ثم خرجت ترحب بوالديها و كانت سومي تتبعها من مكان لآخر بينما تمشي، بدت متجانسة مع قطتها بثوبها الأبيض.

أحضرت صفاء صينية بقلاوة و العديد من الحلويات و المكسرات و الفاكهة و الغذاء و فستانين لرحمة و بعض المجوهرات.

جلسوا يدردشون ثم نهضت رحمة لترتدي القفطان العاجي الذي أحضرته لها أمها، كان جاسر يحدث مجد عندما إنزعج و صرخ في رسيم الذي يلعب بشعر مجد من وراءه قائلا:

إعقل يا رسيم!

فإبتسم مجد و قال: لا بأس.

جلس رسيم متذمرا على الأرض و عندما رأى مجد ذلك أخده إلى غرفة وئام حيث جهاز الكمبيوتر و عرفه على ألعاب جيدة ثم تركه يلعب هناك.

و بعد مدة جاءت رحمة بطلتها الجميلة و هي تحمل سومي بين يديها، فشهقت والدتها في سعادة قائلة: تبدين رائعة يا رحمة، كنت أعلم أنه سيكون جميلا عليك.

إبتسمت رحمة بسعادة و إتجهت نحو أمها و إحتضنت كتفيها و قالت: شكرا يا أمي.

ثم إنخرطتا في حوار نسائي حيث كانت صفاء تسألها عن علاقتها مع زوجها و كيف يعاملها فتخبرها رحمة أنه لطيف جدا معها و أنه لا داعي لأن تقلق عليها.

و بينما هم كذلك جاء ضيوف آخرون و هم عائلة مجد، كان مجد الذي كان يدردش مع جاسر سينهض عندما أوقفته رحمة بحركة من يدها قائلة: سأفتح أنا.

إتجهت للباب و فتحت فدخلت وردة محتضنة إياها و هي تقول:

زوجة إبني الغالية.

و كانت وئام و رحيم قد جاؤوا أيضا، إستقبلتهم رحمة بسعادة و إمتلأت الدار بصخب الضيوف، كانت وئام سعيدة جدا بعملها كمحاسبة في شركة فهي تحب المحاسبة كثيرا و قد أعربت أن حلمها المستقبلي هو أن تستطيع إدارة المستشفى الذي يعمل فيه مجد و قالت ضاحكة أنها ستعطيه عمليات حتى يغمى عليه فأمسكها مجد من رأسها و ضربها بخفة بينما يضحك عليهما

الجميع، بعد مدة كانت النساء يجلسن معا في الصالة و الرجال يجلسون في غرفة وئام مع رسيم الذي يلعب و هو يصرخ عندما يقتل الأعداء بصخب.

في غرفة الرجال كان مجد يحدث رائدا الفضاء جاسر و رحيم بأمر مهم، لقد قرر أن يخبرهم بفكرته و بأمر عقار العقم، أراد أن يشارك فكرته أيا كان السبب.

قال مفتتحا الموضوع و هو يتطلع إلى جاسر بجدية: عمي جاسر أنت تعرف بالطبع أنني أعلم بأمر أشعة غاما من عند والدي.

فقال جاسر: نعم، أعلم.

مجد: عندما أخبرني والدي أنه يعول علي في شيء ما رحت أفكر مليا بالأمر، حتى واتتني فكرة، من الأفضل أن يتوقف النسل الآن، لكي لا يواجه البشر نهاية العالم و لكي نعيش السنوات الأخيرة لنا كبشر في رغد إقتصادي، إذا فكرنا من منظور إقتصادي.

شهق الإثنان بصدمة لم تواتيهما أبدا هذه الفكرة، قالا بتخاطر الأصدقاء: و كيف؟

فأجاب مجد: لقد إخترعت عقارا للعقم.

شهق الإثنان مجددا و ظلا يتطلعان إليه في صدمة ثم قال جاسر:

هل أنت متأكد من فاعليته؟

مجد: نعم، لقد جربته على فئران مختبري و نجح الأمر، لم يتوالدوا أبدا مهما أبدلت في الثنائيات و مهما إنتظرت.

رحيم و هو يتطلع لإبنه بفخر ممزوج بالرعب و الصدمة:

من المذهل أنك إخترعت شيئا كهذا.

تطلع إليه مجد و إبتسم إبتسامة شغف العالم:

كان ذلك مرهقا و ممتعا و مرعبا.

سكت الثلاثة لبعض الوقت ثم قال جاسر بجدية:

أنت محق يا مجد، محق تماما! لا بد من إيقاف النسل.

سكت ثم أردف: أنا أثق بعبقريتك و لهذا سأسلم العقار للناسا لينظروا في الأمر.

صدم مجد هذه المرة و قال: و لكني لم أقرر بعد في أمر تسليمه!

رحيم: و لما ؟ ألم تسعى لإختراعه و أنت موقن أنك ستستعمله؟!

مجد: نعم و لكنني متردد.

وضع جاسر يده على كتف مجد و قال و هو ينظر في عينيه بتدقيق: إنه من أجل رحمة، أليس كذلك؟

أومئ مجد برأسه و لم يعقب.

فسكت الثلاثة ثم قال رحيم:

فكر جيدا ثم إفعل ما تراه صحيحا لكي لا تندم يا بني.

جاسر: صحيح.

تطلع إليهما مجد و إبتسم قائلا: سأفعل.

في الصالة كانت صوت قهقهات النسوة تسمع من الرواق، بعد مدة نهضت وئام مع رحمة لتساعدها بتجهيز الغذاء، في طاولة المطبخ الكبيرة التي تشرف على الحديقة وضعت رحمة طبق الجاري الذي أحضرته أمها معها و وضعت باقي الأطباق بهمة و كانت وئام تجهز المائدة و تضع الصحون.

بعد الغذاء و نهوض الجمع للإنصراف من أجل ترك العروسين براحتهما، إلتصق رسيم بقدم مجد آبيا العودة مع والديه.

ضرب جاسر جبينه و زمجر بغضب قائلا:

ما كان علي إحضارك!

ضحك مجد و قال و هو يمسك برأس رسيم و ينحني ليصل لمستواه: هل تحبني؟

أومئ رسيم برأسه بقوة و قال:

نعم، أنت أفضل من أختي.

فضحك مجد بصخب و هو يشد وجنتا رسيم و ضحك الجميع إلا رحمة التي إمتعضت لقول أخيها المزعج.

قال مجد بعدما إنتهى سيل الضحكات:

لا أقبل أن تقول هذا عن سيدتي.

و نظر نحوها و غمز لها فإبتسمت و إبتسم الجميع لرومانسيتهم الجميلة.

ثم ذهب الضيوف و بقي رسيم مع مجد و رحمة بشرط أن يلبث يوما واحدا فقط.

و جلس مجد يلعب معه ألعاب الفيديو بالبلاي ستايشن حتى المساء ثم حمله بعدما نام إلى سريره في غرفة وئام.

ثم ذهب إلى رحمة التي كانت منهمكة بترتيب الأشياء التي أحضرتها لها أمها و الآن هي تغسل الصحون، إحتضنها من الخلف فإبتسمت بإتساع لذلك.

قال: حبيبتي سأذهب الآن من أجل مناوبتي الليلية، أنا حزين لأنني سأترك هذا الجمال لوحده الليلة و لكنني مضطر.

ثم قبل فروة رأسها، فقالت:

لا بأس، رافقتك السلامة يا مجدي، إبذل جهدك.

إبتسم و قال: سأساعدك في غسل الأواني.

إعترضت رحمة قائلتا: لا ستتأخر!

مجد و هو يرفع كمي قميصه متأهبا: لا! أنت تعرفين أنني سريع في إرتداء ثيابي.

و قال و هو يغمز لها مبتسما: كما أن الأقزام يتعبون بسرعة.

ضحكت بخفة و أومأت له و بدأت بجلي الصحون بينما هو يغسلها بالماء ثم يجففها.

و بينما هم كذلك قال: لن تصدقي ما حدث اليوم يا رحمة!

رحمة: ماذا؟!

مجد: لقد إتصل بي دانيال صباح اليوم و أخبرني و هو ينتحب أنه دخل للإسلام!

تهللت أسارير رحمة و قالت بإبتسامة: الحمدلله، إنه يستحق ذلك.

مجد: أنا في غاية السعادة من أجله و لكن يؤسفني أنني لست معه لأريه تعاليمنا و أوجهه و هو مبتدئ.

رحمة: لا بأس سيسخر الله له من يوجهه يا مجدي، لا تقلق.

أومئ لها مجد و قال: صحيح.

و بعد دقائق إنتهيا من الغسل، فتركها مجد مغادرا لغرفتهم لتبديل ثيابه.

كان مجد قد إنتقل إلى العمل في مستشفى زيرالدة بالجزائر العاصمة و لم يصدق المدير أن "دكتور مجد ألبار " بشحمه و لحمه جاء ليعمل عندهم! كان في غاية السعادة لذلك و يعامل مجدا كأنه ملك، لأنه ملك الجراحة بالفعل.

بينما كان مدير مستشفى سانت لويس بباريس في غاية الإستياء عندما قدم مجد إستقالته و قد عمد إلى إخراج غضبه في دانيال المسكين فأصبح لا يدعه يستريح أبدا! و يصنع له المشكلات!

و كأنه يقول له "إدفع ثمن إستقالة صديقك، لعله يعود!".

و كان دانيال حزينا لذلك و لكنه يعلم الآن أن الله لا يضيع أجر الصابرين فصبر بإيمان، ربما يعطينا الله الأوقات الصعبة في الوقت الذي نكون فيه بعقلية جديدة جيدة تساعدنا على تحملها و هذا ما حدث مع دانيال، لم يقسى عليه مديره إلا بعد أن عرف الإسلام.

عندما وصل مجد للمستشفى و إرتدى مئزره و أخد يجوب أروقة المستشفى مر على غرفة الأطفال الرضع، فوقف هناك طويلا ينظر إليهم بتأمل.

كل أولئك الأطفال يولدون كل يوم و لو يسلم العقار لن يرى هذا المنظر مجددا!

و لكنه يؤمن أنه لا ينبغي لهذا أن يحدث، لا ينبغي إستمرار ولادة الأطفال.

إستمر بالوقوف هناك و هو يفكر و كأن ذلك المنظر هو من سيعطيه القرار النهائي.

حتى ناداه الممرض و أخبره أن لديه عملية طارئة فهرول من فوره لإغاثة الملهوف تاركا إغاثة عقله المضطرب.

كان المريض قد تعرض لحادث سير، وقع مع سيارته من أعلى هضبة يشرف عليها الطريق، تأذى كثيرا و تمزق طحاله إثر قضيب حديدي دخل فيه، عندما دخل مجد لغرفة العمليات كان الجميع هلعين و مضطربين.

قالوا: دكتور ألبار! فقال مباشرة: أسرعوا، كيف حال ضغط الدم؟ و النزيف؟

نطق الدكتور المشرف على العملية: ضغط الدم منخفض جدا و النزيف حاد.

تقدم مجد بسرعة و قال: ليس لدينا ثانية لنضيعها، إحرصوا على أن يحصل المريض على دماء كافية، سنستأصل الطحال، يمكننا إنقاذه.

ثقته تسللت إليهم فقالوا جميعا: نعم.

و بعد العملية خرجوا بوجوه سعيدة و أثنوا على مجد، قال سعد الطبيب المشرف: دكتور ألبار، إنها عملية صعبة جدا و كان المريض ليموت لولا مساعدتك، أحسنت صنعا.

إبتسم مجد و قال: و أحسنتم صنعا أنتم أيضا.

نطق طبيب من الواضح من نظراته أنه يغار من مجد و قال:

يشاع أنك مغرور يا دكتور و لكنني لا أرى ذلك.

رأى مجد الحقد في عينيه و هو معتاد على التعامل مع الناس أمثاله كارهي الناجحين العاجزين على أن يصبحوا مثلهم.

قال: أظنني لم أعد كذلك بعد الآن.

إبتسم سعد و قال: لا شك أن لأنثاك أثرا في ذلك، فالمرأة هي من تغير الرجل.

إبتسم مجد و لم يعقب، إن دكتور سعد محق.

عندما مشى مجد قليلا و وجد عائلة المريض في الرواق متهللي الأسارير و ينظرون إليه في إمتنان خمن أن هذا هو مجد الطبيب و هذا هو مجد مجد.

لا يوجد شعور أروع من هذا في العالم و لهذا عشق الطب دائما.

عندما عاد إلى البيت كان قد إتخد قراره، دخل للبيت بهدوء لكي لا يوقظ أهله النائمين، نزع حذاءه بحذر و إتجه لغرفته، كان مرهقا.

عندما دخل للغرفة وجدها مستلقية نائمة على السرير كالملاك تضم جسدها بيديها و قد رفست غطاءها تحت قدميها كعادتها.

غطاها و جلس إلى جانبها يمسد على شعرها بحنو و يتشرب ملامحها، إنه لا يمل أبدا من تأملها، يتأملها كلوحة فنية معقدة يكتشف كل مرة تفاصيل جديدة فيها.

فكر و هو يمرر يديه في شعرها أنها طفلته و زوجته و صديقته و كل شيء، ليس سيئا أبدا إن لم يحصلوا على طفل.

سيعطي العقار للناسا بالتأكيد.

١٥

ثورة.

اليوم هو يوم خطبة دانيال و وئام، كان منزل ألبار ممتلئا عن آخره بالضيوف و دانيال بغاية السعادة لأنه إجتمع بمحبوبته.

كان قد طلبها من مجد في وقت سابق فوافق الأخير على الفور لأنه يعرف كم أن دانيال شخص جيد أكثر من أي أحد آخر و الآن و قد أسلم فإنه لن يجد أفضل منه لأخته.

كان دانيال يتعلم العربية بجد كل يوم من أجل وئام، أراد أن يحدثها بلغتها الأم كي لا تشعر بالغربة أبدا معه.

بالنسبة لها كانت تشعر معه بالراحة و كانت معجبة بلباقته و بشخصيته منذ ما يصفه به أخوها منذ زمن. و لم تمانع أبدا أن تخطب إليه حتى مع علمها أنه كان متزوجا من قبل.

و كانت في غاية السعادة عندما عرفت أنها السبب في دخوله الإسلام، شعور جميل جدا أن تكون السبب في هداية شخص ما!

فأحيانا يقودنا الحب إلى الله!

حب دانيال لوئام قاده إلى الله.

و بالنسبة لوردة و رحيم فكلاهما لم يعارضا الخطبة و وثقا بإبنهما كون الرجل صديقه منذ مدة طويلة.

كان دانيال يلبسها الخاتم عندما تعالت التصفيقات ببهجة ثم قطعا بعدها الكعك معا و إلتقطت لهما العديد من الصور.

لم يكن لدانيال عائلة تشاركه فرحته من غير أخته روزا فوالده متوفى و أمه متزوجة في كوبا منذ سنوات طويلة و لا تتواصل معهم إلا ناذرا.

كانت رحمة في غاية السعادة تصفق و تزغرد و ترقص حول نفسها ببهجة و كذلك كان مجد، الآن إلتقطت صورة لهما بهاتفها و راحت تريها لمجد فإبتسم الأخير و لم يعقب لقد كان يفكر متى سيحضر جاسر؟

لقد عادت عائلة رحمة منذ السابع، عادت منذ شهر إلى واشنطن و لكن مجدا إتصل بجاسر و دعاه لحفلة خطبة أخته و كذلك أخبره أنه قرر أن يعطيه العقار.

و الآن هو ينتظره و هو يخشى أن لا يأتي!

و بينما هو كذلك يتفحص المكان، رأى جاسر و صفاء و رسيم يدخلون فأخبر رحمة لتنظر نحوهم و تتجه إليهم تسلم عليهم و بعد الحفل دخل جاسر و مجد إلى مكتب رحيم أكثر مكان آمن برفقته أغلق الأخير الباب و قال: ها هو ذا قد قرر يا جاسر.

جاسر و هو يجلس فوق الكرسي الخشبي للمكتب:

كنت أعلم أنه سيتوصل إلى هذه النتيجة.

قال مجد و هو يخرج زجاجة صغيرة ذات محلول شفاف من جيبه:

هذا هو.

نظر كليهما إلى الزجاجة بفضول ثم إقترب جاسر منه و أمسكها بين يديه قائلا:

لقد أخبرت الناسا بأمر فكرتك يا مجد و قد أخبروا بها منظمة الأمم المتحدة بدورهم و قد إتضح أنهم قد فكروا بها من قبل و كانت هدفهم الأسمى! و لكنهم لا يملكون العقار ، ما علينا سوى تسليم العقار لهم و سيخضع للفحص في منظمة الصحة العالمية.

أومئ له مجد و قال: كنت أعلم أنهم سيفكرون بها، ما هي خطة إستعماله؟

جاسر: لم يقرر ذلك بعد.

قال مجد و قد لمعت عيناه ببريق خاص: لدي فكرة بهذا الشأن أيضا.

نظر كلاهما إليه في تمعن فقال: لقد صنعت هذا العقار مع إمكانية تحويله من الحالة السائلة إلى حالة الأقراص الصلبة و المسحوق.

أومئا له فقال: الخطة هي وضع العقار بحالته المسحوق في جميع منتجات العالم الغذائية و بهذا سيستهلكه الجميع دون علمهم مع سرية الموضوع.

أضاف بينما هما مذهولان من الفكرة فاتحي الفغر:

أثق بأن الأمر سيبقى سريا إلى أن ينتشر العقم العالمي، صحيح؟ عندها لن تملك الحكومة سوى الإقرار بالأمر.

قال جاسر: صحيح!

رحيم: فكرة رائعة يا مجد!

و بهذا أخد جاسر العقار معه إلى واشنطن و سافر العقار بعدها من دون جاسر إلى كاليفورنيا ثم إلى منظمة الصحة العالمية بسويسرا.

في المنظمة، كان الأطباء يتساءلون بينما يفحصون العقار عن إسم الدكتور العبقري الذي صنعه فهو بلا ثغرات!

فإنتشر إسم مجد ألبار في منظمة الصحة و أصبح يسمع كل يوم.

قال الدكتور الأول: مجد ألبار؟! كما هو متوقع منه! إنه عبقري يتواجد مرة واحدة في مليون نسمة.

الدكتور الثاني: نعم لقد أجرى مرة في كاليفورنيا جراحة مجازة قلبية تكاد تكون مستحيلة!

الدكتور الثالث و قد كان كهلا خمسينيا:لم أستطع أبدا صنع العقار رغم كل محاولاتي بينما تمكن هو من ذلك رغم صغر سنه!

و بعد أيام تم فحص العقار فحصا تاما و المصادقة عليه كما أخدت خطة مجد بعين الإعتبار و جرى تطبيقها.

كان مجد يجلس في الصالة مساءا و يساعد رحمة في دروسها حيث تطرح أمامه درس الكيمياء النووية و يشرح لها الأجزاء عندما تلقى إتصالا من جاسر فنهض و تركها تحل التمرين الذي أعطاه لها.

في الإتصال، قال جاسر: لقد تم قبول العقار يا مجد و سيتخدون الإجراءات اللازمة قريبا.

مجد: هكذا إذن، إن ثورة ضخمة على وشك الإندلاع.

جاسر: ثورة لا بد منها يا ولدي.

مجد: إسمي سيظل مجهولا كما إتفقنا، صحيح؟

جاسر: نعم، لا تقلق، كان من شروط تسليمي للعقار أن يبقى مخترعه مجهولا عندما يعرف الناس لاحقا. فعلت كما طلبت مني.

مجد: حسنا، كان الله في عوننا يا عم جاسر.

جاسر: إن شاء الله.

أغلق مجد الخط و بقي يفكر لمدة حتى جاءته رحمة تفرك شعرها بالسيالة و تحمل في يدها ورقة و قالت: أين ذهبت؟ تعال لتفهمني في هذا القانون.

إبتسم لها و لحقها إلى الصالون و بعد مدة نهض ليعد لها عصيرا و فطيرة لتستطيع التركيز.

و عندما عاد و في يده الصينية قال بصرامة و هو يراها قد تركت الأوراق و أمسكت الهاتف تحدث روميسة: يجب أن تدرسي جيدا، لن أقبل بغير الإمتياز.

إبتسمت و قالت: بالطبع، كنت آخد إستراحة فقط يا دكتور.

مجد :كلي هذا و أكملي المراجعة.

أومأت له بطاعة و راحت تأكل بينما تعطي لسومي التي في حجرها بعضا من أكلها و كان مجد يقرأ دروسها ليفهمها لها.

ثم عادت للدراسة و راح يشرح لها كل شيء بطريقة مبسطة جدا، إن له موهبة في الشرح و تفهيم الناس بحق. هكذا خمنت رحمة و حمدت الله كثيرا في سرها لأنه رزقها بزوج مثل مجد يريد نجاحها و يهتم لإنجازاتها، عندما ترى صرامته و كم يعمل ليجعلها طبيبة ممتازة كما وعدها تشعر بالسعادة، فهناك من الأزواج من لا يريدون زوجاتهن ناجحات و ذلك النوع ناقصي الثقة و الرجولة فالرجل الحقيقي هو من يسعى لدعم أنثاه بكل ما إستطاع.

لا يسعى لجعلها أقل منه ليشعر بأنه أعلى منها، وحدهم ناقصو التقدير و الثقة يبحثون عمن هم أقل منهم.

الذكي يستمد قيمته من الغبي و الرجل يستمد قيمته من المرأة و الجميل يستمد قيمته من القبيح....

و الحقيقة أن الإنسان لا يجب أن يستمد قيمته من أي شيء خارجي!

عندما شعر مجد أن رحمة قد تعبت، قال: كفانا دراسة لليوم يا حبيبتي.

أومأت له رحمة بسعادة، فحملها و جلس على الأريكة و وضعها فوقه على حجره كالعادة و راح يمسد على شعرها و يشمه و يقبله، إنه يعشقه منسدلا على طول ظهرها و لهذا طلب منها أن تتركه كذلك دائما. عندما رأى أنها تمسك سومي في حجرها و تمسد على فروها، قال بينما يشغل مسلسلهم الأسبوعي الذي نزلت حلقته اليوم: إتركي سومي الآن و دعينا مع بعضنا.

فأمسكت دقنه بيدها تشده و قالت: يا لك من غيور.

فأجاب و هو ينظر لعينيها بتملك: جدا، أغار عليك حتى من ثيابك التي ترتدينها و من ماء الوضوء الذي ينعم بتلمسك خمس مرات في اليوم.

ضحكت بخفة و تركت سومي أرضا لتذهب الأخيرة إلى الرواق تتجول في الأرجاء.

ثم إقتربت إليه و قبلت خده قائلتا: أنا محظوظة حقا! أنت رومانسي جدا يا مجدي.

فقال مجد بإبتسامة: أنا قارئ روايات كيف لا أكون رومانسيا!

بينما يشاهدان المسلسل و تحدثه عن تفاصيل يومها في الجامعة فيصغي بإهتمام غفت رحمة بسبب تعبها و شعورها بالراحة و

النعاس للمسات مجد على شعرها، غطاها بلحاف كان فوق الأريكة و ضمها إليه، فكر أنه مادام يجري تطبيق نشر عقار العقم فهذا يعني ربما أن العصير الذي قدمه لرحمة يحتوي عقاره، ربما و هي نائمة في حضنه الآن تكون قد أصبحت عقيمة!

ظل يتأمل الفكرة ثم حملها لغرفتهم بهدوء.

●●●●●●●●●

بعد أسابيع،

كانت رحمة عائدة من إمتحانها و قد أبلت فيه حسنا بفضل مساعدة مجد، إنها تقدر أنها ستصبح دحيحة الدفعة إذا بقيت بهذا المستوى متفوقة على رنيم أفضل طالبة عندهم.

كان الجو ماطرا و كانت تشعر بالبرد فتلف جسدها بيديها بينما تمشي أحيانا،

في طريقها إلى البيت، في قطار الترمواي كانت ترى وجوه الناس المتجهمة و أحاديثهم التي لا تنتهي عن موضوع يحتوي كلمة "العقم" تتكرر فيه كثيرا.

عندما عادت للبيت، كان مجد غير موجود فهو لم يعد بعد، راحت تعد العشاء و تقوم بأعمالها البيتية.

ثم شغلت التلفاز على نشرة الثامنة و هنا صدمت صدمة كبيرة.

في شريط الأخبار مكتوب عاجل:

إنعدام تسجيل حالات الحمل منذ أسابيع مضت، إنتشار للعقم العالمي!

كانت مصدومة جدا لدرجة أن الريموت وقع من يدها و لم تنتبه لذلك، أرادت أن تسمع كلام الإخبارية في الموضوع و ترفع الصوت فقد كانت ترى شفاهها تتحرك و ترى هي الدنيا تدور من حولها فتقع على الأرض مغشيا عليها.

بعد لحظات عاد مجد من العمل ليتفاجئ برؤيتها ملقية على الأرض، فزع عليها و حملها إلى الكنبة ثم أخد يضرب خديها بخفة فأفاقت و هي تشعر بألم في رأسها إثر إرتطامها العنيف بالأرض نظرت إليه بحزن و لم تقل شيئا،

قال بلهفة: ما بك يا رحمة؟

لم تجب، فراح يفحصها، نبضها، ضغط دمها، نسبة السكر في دمها.

قالت رحمة مشيرة للتلفاز: هل سمعت بالخبر؟

نظر مجد نحو التلفاز و قال و قد توجس خيفة من أن ما حدث لها بسبب هذا الخبر: نعم.

أمسك الريموت و رفع الصوت و جلسا يسمعان ما تقول.

إحتضنت رحمة مجد بقوة و قالت بصوت مخنوق: هل هذا صحيح يا مجد؟!

تقطع قلب مجد عليها و لم يعرف ماذا يقول هو كان يعلم أنها لن تستحسن الأمر و أنها ستحزن ككل الناس و لكنه يرى الآن حالتها أسوأ من ما توقع.

قال و هو يضع يده على وجنتها: نعم يا حبيبتي.

دفنت وجهها في صدره و لم تعقب، قالت بعد مدة:

ترى ما السبب؟!

فأجاب: سيكشفون عنه لاحقا.

و فعلا بعد أيام من ثورة الشعب و طلبه لتفسير من الحكومة، إذ كانوا يخرجون في مسيرات إحتجاجية مكثفة.

أغلقت المستشفيات بسبب عدم تردد الناس عليها لشكهم أن أطباءها السبب في عقمهم،

كان الوقت مساءا و كان مجد و رحمة بالبيت عندما ورد الخبر ليفتعل ضجة في العالم بأسره.

نهاية العالم بعد سبعين عاما، أوقفنا النسل عبر عقار للعقم من أجل مصلحة البشرية.

ثم ظهرت التفاصيل بعدها، كشفت الحكومة عن الظاهرة الفضائية التي ستقضي على الجنس البشري و كتب في الأخير أن مخترع عقار العقم فضل أن يبقى مجهول الهوية.

فغرت رحمة فاها في ذهول و نظرت لمجد و لكنها فوجئت بعدم رؤيتها لدهشته!!

أمسكت هاتفها و دخلت الفايسبوك و الإنستاغرام و جميع مواقع التواصل، كانت جميعها تضج بالخبر و التعليقات لا تتوقف.

معظمها كان جزعا،

قرأت أحد التعاليق يقول:

ما يحدث مأساة حقيقية! ماذا لو كانت النهاية قبل هذا؟! ماذا لو كانت بعد سنين قليلة؟! لا يمكننا أن نثق بالحكومة أبدا!!

و إستحسن الآخرون قوله.

قالت رحمة و هي تنظر لمجد: هل كنت تعرف يا مجد بهذا؟

قال مجد غير متعجب لإكتشافها الأمر بل كان ينتظر أن تسأله:

نعم العم جاسر أخبرنا.

قالت بصدمة: أبي؟!!

مجد و هو يقترب منها و يضع يده على كفها: نعم.

ظن مجد أنها ستتفهم الأمر الآن بعد أن كشف كل شيء لها و للعامة و كان ينتظر الفرصة ليخبرها بالحقيقة، حقيقة أنه هو المخترع المجهول للعقار، فهو لا يريد الكذب عليها أبدا.

و لكنها قالت بحقد: لا سامحه الله من إخترع هذا العقار.

مجد، رحمة.

صدم مجد بشدة و ترك كفها و وثب من مكانه بسرعة، نظرت إليه رحمة بإستغراب و قالت:

ما بك يا مجد؟

كان مجد مستديرا إلى الجهة الأخرى لا ترى إلا ظهره، لم يستطع أن يريها تعابيره المصدومة، عدل من تعابيره و إستدار إليها و قال:

لم تقولين هذا يا رحمة؟!

رحمة: أقول ماذا؟

مجد: تمقتين صانع العقار!

رحمة بإنفعال: لأنه بلا إحساس! حرمني و حرم ملايين النساء في العالم من الأمومة.

إرتبك مجد و زاغت نظراته فقالت رحمة و هي ترى إرتباكه:

لم تقول هذا يا مجد؟

فقال: أقول ماذا؟

قالت: تدافع عن هذا المخترع!

سكت مجد لثوان طويلة ثم إستجمع شجاعته و قال:

لأنه أنا.

نظرت إليه رحمة في صدمة و نهضت من مكانها متجهة إليه و هي تكذب أذنيها و قالت:

أنت ماذا؟!

مجد: أنا صانع العقار.

سكتت و هي تنظر إليه بذهول، سكتت لثوان طويلة لم تقل فيها شيئا، فقط تواصل بصري طويل بينهما قالا فيه الكثير!

غضبت الآن و حزنت بشدة، قالت بوجع: لقد كانت أمنية حياتي أن أحمل بطفل منك، لما حرمتني منها؟!

نظر إليها مجد بحزن و لم يعرف بماذا يعقب، إنه يشعر بالكسرة و الحزن لأنه السبب في حزن محبوبته و حزن ملايين النساء في العالم.

قالت بصرامة و هي تنظر في عينيه بقوة: طلقني يا مجد.

صدم و غضب و حزن في نفس الوقت، قال:

إن هذا من أجل مصلحة البشرية يا رحمة، فكري بمنطقية بعيدا عن العاطفة، رجاءا!

فقالت بحدة:حرماني من الأمومة من أجل مصلحة البشرية؟!هذا هراء!

لم يعقب فقالت بحدة أكبر: طلقني.

فأجاب هذه المرة بغضب عارم: لن أطلقك!

و قال و هو يكور قبضته و يصر على أسنانه: لا تكرري هذه الكلمة مجددا.

إرتعشت أوصالها لنبرته، لأول مرة يغضب عليها و يحدثها بهذه النبرة، شعرت بالخوف منه!

إندفعت إلى الغرفة و أغلقت الباب وراءها بقوة، بينما جلس هو إلى أقرب كنبة و زفر بحنق.

طلبها كان أكبر من تصوره، كيف يطلقها؟! هو لا يستطيع تخيل حياته من دونها! من دون التنعم برؤيتها و إستشعار وجودها.

لبثت في الغرفة طيلة المساء و عندما حل الليل، ذهب مجد لتفقدها ليجد باب الغرفة مغلقا بالمفتاح، دق على الباب بتأني و قال بصوت هادئ:

رحمة أرجوك لا تفعلي هذا! إفتحي الباب و دعينا نتفاهم.

لا رد.

لبث هناك لمدة ثم ذهب للصالة بحزن، لقد رأى أنها لم تأكل شيئا منذ الصباح، لم تتغذى لأنها كانت تعاني مغسا في معدتها و ها هي تحبس نفسها في غرفتها دون أكل!

ذهب ليحضر طعام العشاء من أجلها ثم وضعه على الطاولة و إتجه مجددا نحو غرفتها، قال أمام الباب: حسنا يا رحمة لا تحدثيني، إغضبي كما تشائين و لكن أخرجي و تناولي شيئا ما، لا تقسي على نفسك هكذا!

لا رد.

إنزوى هو الآخرى في غرفة ونام و مضت ليلتهما و بينهما فاصلة عملاقة تأبى أن تنزاح!

و غذا صباحا، كانت رحمة تجهز أمتعتها من أجل الخروج من البيت سرا عن مجد، كانت تفكر أنها لن تذهب لبيت والديها مهما حدث فهما كانا يعرفان بالأمر و لم يخبراها و لم يثنيا مجدا عن فعلته و لهذا هي غاضبة منهما بنفس درجة غضبها منه.

كما لن تذهب لمنزل عائلتها الفارغ فهو سيعرف أنها هناك و سيلحق بها و يعيدها،

المكان الوحيد الذي يمكنها الذهاب إليه، هو أكثر مكان مريح لها منذ طفولتها، منزل العمة ريتا بفرنسا.

كانت قد هاتفتها و أخبرتها بأنها قادمة فرحبت بها الأخيرة بحرارة.

كما حجزت تذكرة طائرة إلكترونيا.

خرجت و هي تحمل حقيبتها و قد إرتدت ثيابها بحذر، كان باب غرفة وئام المحادي لغرفتهما من جهة اليسار مغلقا، فخمنت أنه لا يزال نائما، تسللت بحذر نحو باب المنزل، إرتدت أي حذاء من أحذيتها غير آبهة المهم أن تخرج بسرعة بينما تركز نظرها على باب غرفة وئام التي كانت تتمنى أن تكون غرفة إبنهما.

إغرورقت عيناها بالدموع بينما تخرج من المنزل مسافرة من دون إذن زوجها، بل تهرب! لم تتخيل يوما أنها ستصل إلى هذه الحالة معه، لم تستطع تحمل البقاء معه فترة أطول!

بعد مدة نهض مجد متجهم الوجه كسير الفؤاد، إتجه من فوره إلى غرفتها ليتفقد حالها و لكنه فوجئ برؤية بابها المفتوح و عندما دخل وجدها خالية منها!

إتحه من فوره إلى خزانتها و تأكدت شكوكه عندما رأى جل ثيابها غير موجودة، أصيب بالهلع ثم بالغضب الشديد، كيف تخرج من دون إعلامه؟! إلى أين ذهبت؟!

طفق يتصل بجاسر و صفاء يسألهما إذا كانت قد أخبرتهما أنها قادمة إليهما؟

و لكنهما صدما من كلامه، و لما أخبرهما بأمر مشاجرتهما إزدادا هلعا، قال جاسر على الهاتف:

لا تقلق يا مجد، إن رحمة هكذا منذ صغرها، عندما تغضب لا تريد أن تحدث أحدا و تحب أن تنزوي بنفسها بعيدا.

مجد و هو يمرر يده في شعره بقوة و يزفر:

و لكن أين ذهبت؟! ماذا إن أصابها مكروه؟!

جاسر: لا تقلق، سنبحث عنها و نجدها.

أقفل الخط معه ليجلس و يتصل بكل صديقاتها اللاتي أحضر أرقامهن من صفاء، إتصل بروميسة لترد فزعة أنها لا تعلم مكانها ثم بنسمة ثم بجميع صديقاتها السطحيات الأخريات و أقاربها.

جلس على الكنبة مهدودا متعبا لا يعلم ماذا يفعل!

ثم خرج يبحث عنها في بيتهم و بيت عائلتها الفارغ فلم يجدها في أي منهما.

كانت وردة في غاية القلق على زوجة إبنها، لا تكف عن الدعاء بتضرع إلى الله ليحميها،

و قد علموا جميعا بالحكاية من رحيم قبل أن يسمعوها من مجد.

١٧

المستقبل.

عند العمة ريتا كانت رحمة بغاية الإرتياح، تجلس أمام المدفأة على سجادة قطنية صغيرة و تلتحف باللحاف العاجي الذي لطالما إلتحفت به في زياراتها إليها و تمسك كوب الشاي الساخن بين يديها.

كانت العمة ريتا دائما الشخص الذي تلجأ إليه طلبا للنصح إذا إستصعبت عليها الأمور و ها هي تلجأ إليها اليوم أيضا.

قالت ريتا و هي تجلس لجانبها بعدما حضرت كوب شاي لها أيضا، كانت قد شفيت من مرض السل و تحسنت حالتها كثيرا فتورد خداها و زال شحوب وجهها:

إذا أخبرني ماذا حدث مع زوجك يا رحمة؟

نظرت إليها رحمة في حزن و لم تعقب لثواني ثم سردت عليها القصة و ريتا تصغي بإهتمام بالغ.

ثم قالت: يا بنيتي إن الدكتور مجد شخص جيد، عندما كنت بالمستشفى و رأى أنني لا أتلقى زيارات كان يحضر لي زهورا من حين لآخر و يتفقد حالتي النفسية.

ثم سكتت تنظر إلى رحمة و قالت:

لقد فكر بمنطقية، فكر كعالم و أنت أيضا يجب أن تري الأمور بمنطقية و أن تكوني معه لا عليه.

قالت رحمة: أعرف يا عمتي، كيفما فكرت في الأمر منذ البارحة ليلا لما إنفردت بنفسي توصلت إلى أنه منطقي و لكنني لسبب ما لا يمكنني تقبل الأمر، روحي ترفض تقبله. في داخلي أنا غاضبة جدا من مجد.

سكتت ثم أردفت: أخبريني ماذا أفعل؟!

إبتسمت ريتا و قالت و هي تربت على كتف رحمة بحنو: أنت تحتاجين لبعض الوقت فقط يا عزيزتي، تتقبلين فيه الأمر و يلتئم جرحك و تفرزين فيه أفكاره و تسامحين أشعة غاما و تسامحين مجدا.

نظرت إليها رحمة بتمعن و هي تشعر بالراحة لكل كلمة تخرجها من فمها، إن لريتا قدرة عظيمة على النفاذ إلى روحها!

في ذلك الوقت كان مجد يبحث عنها بقلق دون هوادة، عندما إتصل به جاسر و أخبره أنها عند ريتا في فرنسا.

عندها إرتاحت نفسه و سكن، كان قد خطر لجاسر مهاتفة ريتا فأخبرته أنها عندها، لم تنزعج رحمة لذلك فقد إتخذت قرارها إذا

جاء مجد لإصطحابها ستخبره أنها بحاجة لقضاء بعض الوقت لوحدها و هي تعلم أنه لن يرفض.

إتصلت العمة ريتا بمجد و أخبرته عن رغبة رحمة فوافق و ركن لطلبها ثم قال: لكنها ستعود أليس كذلك؟

ريتا: نعم ستعود، لا تقلق.

مجد: هل يمكنني محادثتها؟

نظرت ريتا نحو رحمة التي لا تزال جالسة أمام المدفأة مع كوب شايها الثالث و قالت: مجد يريد التحدث إليك.

أومأت لها رحمة و أمسكت الهاتف تحدث مجد.

قالت: مرحبا يا مجد.

مجد: مرحبا، كيف حالك؟

رحمة: بخير، أنا آسفة لأنني خرجت من دون إذنك، أرجوا أن لا تظل غاضبا مني.

مجد: لست غاضبا، لا تكرري الأمر فقط، لقد قلقت عليك كثيرا.

رحمة: أعدك أنني لن أكررها.

سكتت ثم أردفت: و أنا آسفة أيضا بشأن حوارنا الحاد و طلبي للطلاق، أنت معك حق يا مجد، كان ينبغي أن أفهمك و أكون زوجة جيدة، ربما أنا الآن غاضبة من نفسي فقط!

مجد: لا عليك يا حبيبتي، مشاعر الإنسان أعقد من أن تفهم بسهولة.

رحمة بدموع: أرأيت؟ أنت دائما تفهمني و تقف إلى جانبي بينما أنا...

مجد: و سأبقى كذلك دائما، عودي للبيت قريبا فأنا أستوحشه من دونك.

●●●●●●●●

بعد أيام،

عادت رحمة إلى بيت زوجها، إستقبلها في المطار بحضن طويل ثم أخدها لمنزلهما حيث حضر لها أشهى الأطباق و إشترى لها كتبا جديدة و ملابس جديدة، يدلل أنثاه و طفلته و حبيبته.

كان العالم قد سكن قليلا بعد الثورة و الخبر العظيم و البارحة أطلق خبر آخر: سيسعى علماء الناسا لإيجاد حل في الوقوف بوجه الظاهرة و سيسعى العالم المجهول لإختراع عقار مضاد لعقار العقم لإستخدامه في حالة النجاح في مكافحة الظاهرة.

قالت رحمة و هي تجلس في حجر مجد كالعادة: هل ستعمل حقا على صنع عقار مضاد يا مجدي؟

مجد : بالطبع، هذه كانت فكرتي أنا، أن يواصلوا البحث بلا إستسلام عن حل و أن يخبروا الناس بهذا، لقد أعطيتهم إياها و طالبت بالإستماع إلي بصفتي مخترع العقار.

أومأت له رحمة و قالت: الشهر القادم حفل زفاف وئام و دانيال أنا متحمسة جدا.

و بعد شهر كان حفل زفاف وئام و دانيال، كان بالطريقة الجزائرية التي أحبها دانيال كثيرا و كان بغاية السعادة لأنه سيأخذه ملاكه معه إلى بيته في فرنسا للأبد، في فترة الخطوبة أحبت وئام دانيال كثيرا، لما رأته منه من شهامة و رجولة و دماثة عكس هشام عديم الشخصية الذي كانت معه!

كما علمته كيف يصلي و كيف يسبح و كيف يقوم بمختلف الأمور في الدين الإسلامي و معها كان يتعلم كل يوم شيئا جديدا.

كان مجد يمسك يد رحمة بلا إنقطاع ليحجب عنها جميع النظرات المعجبة لغيرته عليها و هو فخور بها لأنها أصبحت دحيحة الدفعة لهذا الفصل بعد أن خرجت نتائج الفصل الأول اليوم.

و كانت روميسة و نسمة يصفقن و يرقصن بسعادة لتفوق رحمة ألبار. فلطالما كانتا صديقتين رائعتين حقيقيتين.

كان مجد و هو في الحفل يفكر في عقاره الجديد، كعادته إذا بدء في شيء يفكر به طوال الوقت و بعشوائية حتى يبدع فكرة ما به!

في المستقبل سيكون هناك رخاء إقتصادي كبير،

قد تكافح أشعة غاما و قد لا ينجح الأمر أبدا، قد يخترع دكتور مجد ألبار عقارا مضادا و قد لا يفعل.

المستقبل هو من سيحدد ذلك.

تمت.

17/09/2024

10/10/2024